الاديب رجل مسؤول

« مسكين » هذا الأديب كم تريد أن تحمله من التبعات . تريد أن تجعل منه بطل تحرر ، وطبيباً يصف الدواء ، وصيدلية تمد بالدواء ، حتى ومستودع اعاشة لاشباع العقول الفارغة . .

انك تفرض عليه نوعاً معيناً من الأدب يربطه بمجتمعه ويسخره لمصالح هذا المجتمع . وانا لا افهم كيف يقيد العبق الساري أو النسم المنساب . كما اني لا افهم كيف يخضع الادب لتأميم أو توجيه يضيق حوله دائرة الحرية والهواء والنور ويسخره لأغراض الأمة . فالأمة يجب أن تؤمن للأديب حياته من غير أن تطلب منه ثمناً لذلك . . »

قال لي ذلك صاحبي وهو يعتقد ان الأديب حدث خارج عن الزمان والمكان وظروف الوسط الذي يعيش فيه . وأن من حقه أن يسير قلمه على هواه ، فلا يتأثر الا بما توحيه اليه نزواته المنطوية في عزلة أنانية مريضة .. مسكين صاحبي ! صاحبي شاعر معدود « يتعاطى » وصف النهود والخدود ، والقدود وارج الورود ، والشوق والحنين والسأم والمواعيد ، متجاهلا ان جمهوره جائع ، مهموم ، يغالب اللقمة والطريق ، ويتخبط في مشاكل اعمق ومآسي اكبر من أن تترك له المجال لتقبل اي صنيع فني بالاحساس المرهف والقابلية على التجاوب ما دام بعيداً عن العافية الجسدية والصحة الروحية!

إن أي أدب يصور ــ اليوم ــ للشعب مأساته أو يصف الظلم المحيق به ، لهو نوع من الرقص على المقابر ، وتهرب من المسؤوليات وعملية الهاء وتخدير للجماهير المغلوبة الكادحة التي تئن من نشيش جراحها

ونحن اليوم في أي عصر نحن ؟ نحن في عصر الحياة ، في عصر التأميم في عصر الجماعة التائقة الى الحرية المتطلعة الى السعادة . الجماعة التي يقتلها الحرمان ويفتك بها الظلم ، وتعيش في السراديب عيشة البهائم يسيطر عليها الخوف ويسقم صحتها نقص التغذية ــ هذه الجماعة بحاجة الى اقلام ادباء تحررها من هذه المخاوف ، وتسدد خطاها نحو اهداف ترفع من مستواها ، وتوجهها نحو حياة حرة سعيدة فالعصر الذي كان ينظر الى الاديب نظرته الى شخص فائض عن الحاجة قد انقضى وأصبح ينظر للأديب كرجل مسؤول عن مصير بلاده وشقائها ، والمهاوي التي تنحدر اليها .. كانت الحياة في الماضي حياة « النخبة » ، فاصبحت اليوم حياة « الجماعة » وكان الأدب في الماضي أدب « النخبة » فاصبح اليوم ادب « الكل » هذا هو الاتجاه الذي تتجه اليه الحياة وينبغي ان يتجه اليه الادب

ثم انني كانسان كقارىء احس بان الذي يهمني ويثير استطلاعي واحب ان أقرأه وأبشر به هو ذلك الأدب الذي يتصل بالحياة ويحلل الواقع ، الأدب الذي يفكنا من اسر التاريخ ، ويسقط الرجعية ، الأدب الذي يعزو الفقر الى فساد النظام لا الى القدر والغيب ثم يقلق ويشير ، ويرشد ويوجه وأخيراً يحرر .

فالبلاد العربية تجتاز اليوم ازمة سياسية لعينة ، ويسود العقول جميعها ــ بعد النكبة ــ اعتقاد بان العرب ليسوا اهلا للحياة . ويتسرب الى العربي من وقت الى آخر شعور بالضعف واستسلام لليأس . الوجود العربي مهدد بالفناء فعلى قادة الفكر ان يتلافوا الكارثة انهم وحدهم مدعوون لخوض المعركة لتشديد الركب التي تخلعت والنفوس التي انهارت او تكاد تنهار .

احمد ابو سعد

من اسرة الجيل الملهم

الارض والرياح

لجبرا ابراهيم جبرا
استاذ في الاداب من جامعة كمبردج

•

To Gladys
Who could not forget the
wooded hills

عبرت* الرياح فوق الأرض ،
واذا الحقول حبلى بالحبوب
والأشجار تهتز أفنانا مثمرة
فأدركت عندها مغزى الرياح

الفجر

•

تحدثت عن الفجر في أيام الصيف ،
وعن الجسم وقد لفحته
حرارة اللمسات ،
والضباب يهوي على السطوح ،
والأيدي كالسحب المسفه
تطوف فوق الأعضاء العاشقة
تحدثت عن الفجر في أيام الصيف وقالت :
ألن يكون في صيفنا فجر آخر ،
فيهرب الألم من وجه النهار ؟

الاحلام

•

راحوا يجمعون الأحلام
من تلال الصخر والأقحوان ،
من بطاح ثار عجاجها
وأمسيات طال تجوالها
بصحبة القمر الصامت ،
وهم يقولون :
« إننا نقيم دوماً فيه
لننثر الأحلام على تاملاته ،
فيرى الأطياف ترقص
على ضفاف صفراء الزهور ،
في فساتين خضراء الزخارف .
وحينما ينتهي الرقص تحيط به
الاطياف فتلمسها يداه :
لان الذين يحبهم يأتونه من منازل
من رخام ، ليدركوا لمسه ،
عندما يهبط الشفق على حفافي الشمس
واطراف الغمام .»

الحجارة

•

يضطجع الحبيب على الحجارة في الأماكن النائية
وفي ضباب الهوى يلف هناك نفسه ،
وهنا التفاح يتارجح ، واوراق الدوالي
في الشمس تتدلى ،
يكسوها الغبار في وحشة الهاجرة .
لكنه مر عنها وراح الى ديار الضباب والحجارة ،
مغادراً دفء الفراش وحب الأصدقاء ،
ليطوف بين الحجارة الضامرة .
ومن اجل أسى الحبيب وحزنه يأتي الغبار
من وراء أمواج البحار ،
من المغاور اللؤلؤية ومنازل العشاق
في البلاد القاصيه .
رسا الغبار على التفاح واوراق الداليه ،
إذ آثر الحبيب ديار الضباب والحجارة ،
وراح ولم يعد ثانية .

الطريق

•

أيتها الطريق الممتدة المتلوية نزلا نحو البحر !
هذا إزار المطر الذي على صدرك يشير الي
بأن أهوي على نهده ، فانضو عني ألمي ،
وانزل كالريش المتساقط او الحصى المتدحرجة
الى الشاطىء القصي ،
حيث لذة الحب تنام في سرير من الزبد .
ألا ايتها الطريق ، ايتها المرأة العابثة في الماء !

* كتبتها أصلا بالانكليزية.

خذيني على قلبك تحت رذاذ المطر ،
اذ يتز ناعماً مثيراً شذا الارض
والاشواك والاوراق التي انطرحت في الخريف –
لعل الافراح الكامنة ، التي رصعها الصدأ ،
ان تستفيق فتنفض عنها الندى الذي
غمرها الفجر به في ايام الموت العديدة .
خذيني ايتها الطريق ، يا هيفاء العطفات ،
وانزلي بي الى البرد الشافي للغليل ،
قرب عيون تغيب عن نفسها في المطر
وافواه الينابيع الشاحبة تلهث في اعماق البحر .

في الليل

•

في الليل تدق الساعة الموحشه
وتنق الضفدع ، والارض تنبض في الليل
وحيدة ، وترتجف السماء .
اي نداء علوي هذا الذي من الاجرام
ياتيني لكي يقض مضجعي
ثم يعبر بي غير حافل ؟
جافة اوراقي ، وفروعي تتقصف في الليل ،
حين لا تخرج امرأة من خدرها ولا يستفيق رجل
ليسمعا الساعة اذ تدق والارض اذ تنبض
والنجوم تغني مهدهدة انشاداً ناعمة .
في الليل ارى في حلمي امطاراً سيولها تجري
حول جذوري – غير ان الارض جافة وعليلة ،
تنبض في وحشتها ،
والسماء ترتجف فوق فروعي .
والنساء ينمن عميقاً ليحلمن بان النجوم
تروي عن غرامهن ، ويصلين صلواتهن صامتات ،
بينما أنا اسمع نداء اجرام السماء
وأرتعد خوفاً اذ ارى
ان اوراقي جافة ، وجذوري لم يسقها الماء ..
فابقى مستيقظاً ، وتدق الساعة الموحشة ....

على بحيرة الليل

•

لم تظهر على بحيرة الليل طيور بشرى ،
سوى طير واحد لم تصغ الكلمات حزنه
غمس في البحيرة قدميه، ثم طار هارباً مسقطاً من جناحيه
شراراً توهج لحظة على محيا الليل .
وانتظرت طيوراً اخرى لتجيء
وتنفض النور من اجنحة على البحيرة ،
ولكن لم يكن هناك الا سكون مدلهم ،
ابيض فجاة حين هوى طير كطعنة خنجر
ورفرف برهة ، وأضاء الموج بقدميه كالبرق ،
ثم هوى بكل ما فيه من حسن ميتاً على قدمي ...

الاصداء

•

رأيت اليوم وجه الجمال مرة ثانية !
بعد ان مرت علي الاسابيع ثقيلة
سجيناً في المنازل الهزيلة ،
اراني الآن بين البحر والجبال ،
بين الشقائق الارجوانية والسنابل
وقد طفت حواسي على
شذا نور البرتقال الذي يحيي الربيع .
والوجوه تبتسم : – وجوه كزهور البراري
وافواه جميلة الصنع ، وضحك كغناء البحر ،
وعيون مثيرة تروي عن الخيال
والرياح وسقوط الاوراق في الغابات ...
والبحر مستكين رقدت فيه الزوارق والاشرعة .
وقد غدوت انا مرة اخرى
حجراً مزدهراً على الجبل ، ارقب السفن تتهادى
والطيور تعود الى اوكارها ...
ولكن في نفسي صدى
وتردده ذكرى المنازل الهزيلة –
غير ان الوجوه الضاحكة
والشقائق والبحر ورياح الجبال
تمازج اصواتها لتدرا عني
صدى الايام التي لم تعرف البحر ولا الربيع
ولا الطيور وهي ترفرف فوق السنابل .

بغداد — جبرا ابراهيم جبرا

سليمان البستاني قائد الطليعة في الادب العربي الحديث

بقلم نسيم نصر

مدير الدروس العربية في كلية الشويفات

من رجال القلم من يكثر تحصيلهم ويقل نتاجهم فيكونون في حقول المعرفة كالشجرة التي تصيب ارضاً خصبة ولا تعطي ثماراً فتنقلب رسالة العطاء الى اثره . ومنهم من يعتمدون يسيراً من التحصيل ينصرفون به الى التأليف فيجيء نتاجهم ، قل او كثر ، هزيلا ان لم يعوزه الاتساع آذته السطحية . وان بدت في النادرين من هؤلاء عبقرية خلاقة اغنت عن الدراسات الشاقة فاولئك نفر في كل امة ولسان ، لا يصح الاستناد اليهم قاعدة .

اما الأفواج المعمرة في بناء الفكر والمخصبة في تربة الأدب فهم ارباب القابليات التحصيلية العظيمة والدأب الرصين والعقول النيرة ، يحملون الى بيادر المعرفة اغمارهم العامرة بالقوت الخالد ، وقفاً للمريدين في دنيا القلم ، فيحيون ما دامت المعرفة ميزة الانسان ويبقون على مكانة لغتهم ما احتاج البيان الى لسان .

ومن هؤلاء الخالدين : سليمان البستاني .

وانه لمن دواعي الاعجاب ان نستهل الحديث بان هذا البستاني ، وأحد البستانيين الكبار المطوقين جيد العربية بعقد من النابغين لم يتجاوز العشرين من عمره حتى تفتح نضوجه مبكراً وطارت شهرته في كل بلاد ذاع فيها الحرف العربي ، فدعي الى مدينة البصرة لانشاء مدرسة فيها . ولكن بغداد التي تحتشد في فضائها وجنباتها ذكريات الأمجاد العربية ، ناطقة الآثار ، بدت له اطيب مقراً واوسع مجالا للنشاط المنتج ، فجاءها ليوزع من عبقريته فيها فيكون ، الى جانب الأديب ، عضواً في المحكمة التجارية ، ومديراً لحركة النقل البحرية ، بين عمان والبصرة .

ثمانية اعوام قضاها في عاصمة الرشيد جاعلا منها محطة يرتاح فيها من وعثاء اسفاره الى البادية العربية ، مستكشفاً وجوه الحياة البدوية مستقرئاً مناشىء الشعر القديم آياته في اماكن تجلياته الاولى وبعد ان جمع له من رحلاته تلك ما غذى به فكره وأرحب خياله من مهيئات الأدب العربي وموجهاته اخذ في اسفار عديدة موزعة ، فمن بيروت ، الى الاستانة ، الى مصر ، الى الهند ، الى هضاب ايران ، ثم الى بغداد ثانية .

وفيما يلوح لك ان هذا الأديب العالم الرحالة قد راقته الاقامة في بغداد ، فاصهر الى انطون البغدادي ، تراه يقصد الى الأستانة ليجمع ، الى مهام العلم والأدب ، اعباء السياسة التي قال فيها ، من قصيدة له ، ابان مرضه في سويسرا ، سنة ١٩١٨ :

ولي وطن تثقل كاهلاه واهلوه يعانون الأمرا
لهم وله علي ديون حر اروم وفاءها فاموت حرا
وبعد قضاء ذلك لا أبالي أطال العمر ام الحدت قبرا

فاقام في عاصمة بني عثمان سبع سنوات لم تخل من اسفار الى لبنان وسورية مرة والى اميركا واوروبة اخرى .

ولئن اشرنا الى اسفاره الكثيرة فليس لنتقصاها ، في سائر غاياتها ، او نوهنا بتعرضه للمشاكل السياسية فلكي نلمع الى قيمه المتعددة ، دون ان نعنيها اصلا في ما خصصنا الكلام به ، فالمناصب السياسية التي تبوأها كفوءاً ، مبعوثاً عن بيروت في المجلس العثماني ، فعضواً في مجلس الاعيان ، وقد عينه السلطان محمد رشاد ، فوزيراً للزراعة والتجارة ، لم تشغله عن رسالة الاديب العالم ولم تنزع به عن هوى لبنان ، فبقي على إيثاره كرامة هذا الجبل على كل مرتبة ومال .

اجل ، مال الى الزهد في السياسة ورغب في المثابرة على درس اللغات الى ان اتقن تسعاً منها هي : العربية واليونانية والسريانية والفارسية واللاتينية والانكليزية والفرنسية والايطالية والتركية والم بالالمانية والروسية والعبرية والهندية ؛ وحفظ من المعارف واستظهر من الشعر ما استحق من اجله لقب العالم الاديب .

وهكذا طلع سليمان البستاني في مطل القرن العشرين حاملا لواء البحث الادبي المثقف واسعاً ، ما شاء له النبوغ واتاحت له

العزيمة المنقبة ، من كنوز الفكر واساليب الكلام .

ومن اعتمد من تآليفه المقدمة ، التي صدر بها ترجمته الياذة هوميروس الى الشعر العربي ، ادرك منها وحدها ما بلغه جهد المؤلف علماً وادباً ومراساً ولم يشأ ، وهو القادر مهمة المترجم الشاقة ، ان يتصدى لترجمة امير الملاحم العالمية الا بعد ان اتقن اليونانية ليجيء النقل اميناً لمصادره ؛ وفي سبيل هذه الامانة في الترجمة ضمن مقدمته النفيسة توجيهات العالم الحصيف الرأي ، في اساليب النقل على اختلاف مواضيعه وقيمه .

وبستاننا الكبير تحسه مطمئناً الى قدرته على جمع موضوعه المترامي الاطراف الوعر المسالك فهو لا يخشى ان تصبح المقدمة كتابا ، تستقطر فيه المباحث والآراء؛ فيصلح بعض سطوره لان يكون عنواناً لمؤلف خاص. وما قولك في مئتي صفحة كبيرة قدم بها ترجمة الالياذة فمر فيها بما يضع امام عينيك الشاعر المترجم وملحمته وما اثر عنه وعنها وما قيل فيهما ؛ لينتقل بعدها الى الشعر ورواته ، عند سائر الامم عامة والعرب خاصة، باسطاً لك موضوع الالياذة مرة ، مناقشاً ما قيل فيها اخرى، منوهاً باسباب خلودها ، مشيراً الى دواعي اعراض العرب عن نقلها الى لغتهم.

واذا ما بلغ بك عرض الاسباب التي رفعت لغة الالياذة الى اعتاب الخلود الادبي ومالت بلغة قريش الى مكان الطموس تدفق عن احاطة رائعة في رسم الوجوه وسياق الاحداث وترسيم المعالم ؛ وسواء في ذلك أأخذت برأيه ام خالفته فيه ؛ فانت منه امام منقب قوي الاسانيد دامغ الحجة .

ويختم البحث في الكلام على العربية واليونانية كلغتين ؛ فتقع من مقدمته على صفحات فيها من التحليل وفلسفة اللغة وبراعة التحصيل ما يحملك على تسميتها رسالة النقد الحديث الاولى في لغة العرب .

ولكي نصل المقدمة الاصلية بالالياذة المترجمة في اوجز اسباب الصلة نذكر مما بسطه البستاني ما معناه :

كان اسم صاحب الالياذة مليجينس ؛ الى ان اصابه العمى فعرف بهوميروس ، اي كفيف البصر .

وموضوع الملحمة الفضلى اليونانية ان ملك طروادة زار ملك اسبارطة ورأى الزائر امرأة المزور ، هيلانة ؛ فاحبها فخطفها ثم فر بها ؛ فاعلن اليونان الحرب على طروادة من اجلها.

ورافقت حوادث هذه الحروب الطويلة اسماء ابطال وملوك وآلهة وكهان وحسان وسبايا . وبعد حصار طوق طروادة ، طوال عشر سنين ، انتهت الحرب بفوز اليونان .

ويتناول شاعر الملاحم الاكبر ، هوميروس ، مراحل هذه الحرب الهائلة ، بالنسبة الى زمانها ، ليخلدها ببطولات واساطير وتاريخاً جاءت قمة للشعر العالمي ؛ وهي كذلك الى اليوم. وعرف ناسج آلاف اياتها في ٢٤ نشيداً بسيد الشعراء .

وبقيت اللغة العربية محرومة من ترجمة هذه الرائعة الشعرية الى أن جاء المترجم سليمان البستاني فوطد الهمة على هذا العمل الجريء ، وقام ، مستنداً الى الاستنتاج العلمي ، برد آراء العالم الالماني ، ولف ، الذي ذهب الى إنكار وجود هوميروس، زاعماً أن الالياذة مجموعة قصائد متفرقة لطائفة من الشعراء . وابرز ما جاء في دحض المذهب «الولفي» ان أجزاء هذه الملحمة موحدة المصدر منسجمة الأجواء ، متهادية حيناً وثائرة آخر ، في نفس يتناهى في اللين ويتمادى في العنف ، مؤتلفاً ومراحل الموضوع، دون ان تنقطع اسباب رده الى مخيلة واحدة وشاعرية فريدة .

ويمضي البستاني مؤلفاً بين علمه وادبه ليرسم لنا شبكة الخطوط التي قامت حائلا بين هذه الملحمة اليونانية وبين التراجمة العرب قبله ، دون ان يستبعد ما كان يجمع بين خيالي شعراء العرب واليونان ، في اقدم موروثهم الشعري ليعود من ذلك فيمسك باطراف تلك الاسباب المتآلفة فيضمها الى سياج الحوائل التي اعترضت طريق ترجمتها الى لغة الضاد؛ فيراها تجمع في اربع وهي:

- وثنية جو الالياذة وتوحيد التراجمة العرب
- كون المشهورين من تراجمة العرب غير شعراء .
- تعسر فهم اليونانية في بيانها الشعري .
- وقوف الخيال العربي عند ابواب الملاحم دون أن يدخل إليها .

وخلاصة القول أنه لا يجوز للنخبة العاملة في حقول الأدب العربي ان تكون اقل اهتماماً بهذه المقدمة الفريدة ، القائمة على المنطق البعيد الغور والادب الرائع ، من المجمع العلمي ، في اثينا الذي اوصى بترجمتها الى اليونانية لتجمع الى الياذة هوميروس.
ولئن كان ضم المقدمة والترجمة بين دفتي مؤلف واحد امراً عسيراً في باب التناول السهل فليكن لنا من المقدمة كتابا مستقل الصفحات نعتمده موجها ثقة في اساليب النقد الحديث والترجمة الامينة ؛ فالبستاني الكبير لم يكن مترجماً ناقداً فحسب ، بل كان شاعراً ناثراً ، تستسيغ منه ادب الابداع والذوق الى جانب النقد والنقل .

نسيم نصر

المزعومة

بقلم عبد الملك نوري

وكان مساء . وكان صباح ...

يوم آخر مثل بقية الأيام، والحر شديد والشمس تبهر عينيه . يجب ان ينزل مسرعاً من السطح . كفى هذا النوم الذي لا معنى له . الا يكفي نوم الحياة الطويل ؟ وهذا يوم سيموت . والاطياف الميتة تتراكم في فجوة ماضيه المظلم . لقد فقدت الحياة لونها من زمان . وليس من مذاق سوى هذا المذاق الابيض الفواح على لسانه ذي القشور البيضاء . امس اخرجه امام شطيرة المرآة المشنوقة فوق المغسلة . ولكن خيرية لم تترك له فرصة للتأمل . اف . لا يريد ان يراها . لا يريد ان يرى وجه هذه العجوز الشمطاء منذ الصباح الباكر . وجه الشؤم الناحب على الدوام . لقد عبر امس بدماملة واخاديده عبوراً خاطفاً امام المرآة . ومع ذلك وقعت المصيبة . ولم يكد يستقر في مكانه من الدائرة حتى ناداه المدير وبدأت كالعادة حفلة السب والشتم والتقريع . وكان عليه ان يستعير صدر احد ابطال الرياضة وهدوء احد المغفلين الابرار كيما يشع على المدير ابتساماته الخلابة بين هنيهة واخرى ويراكم فوقه خليطاً من الكلمات التي لا معنى لها ـ نعم بك . تأمرون بك . من الآن فصاعداً بك . وعند انتهاء الحفلة ـ اشكركم بك . هذا واجبي بك . هذ حسن ظنكم بك . ثم ينسحب بوقار مصطنع . وكان عليه ايضاً ان يتقبل تهانيء الموظفين بعد كل حفلة . لا يستطيع ان يتشرف بالمثول بين يدي المدير دون ان يمر بردهتهم وذلك كان اشق عليه من مقابلة المدير نفسه .

اوه . من نصب هـذا المدير الاحمق الـهاً على امور حياته ؟ اكانت به حاجة لمن يصنف اخبار لياليه الحافلة بالقصف والشراب ويسجلها في اللوح المحفوظ ـ ملفته الشخصية ؟ ان « للملعون الوالدين » حساسية كلب الصيد . والبئران العميقتان فوق شفته المقوسة . ابداً مفتحتان لالتقاط رائحة العرق التي تفوح من فمه هو منذ عشرين عاماً . اي .. نعم منذ عشرين عاما لم ينقطع خلالها يوماً واحداً عن الشرب . وهل كان بمستطاعه ان يفعل غير ذلك ؟ كيف كان يعيش لو لم يكن في العراق تمور ورجل عبقري مثل « فاضل » ينقل النشوة التي تضج بها رؤوس النخيل الى رؤوس الرجال الذين بلغوا سن الحـكمة . انه يكتسي بالشراب ثوباً مريحاً غير مرئي لا يمكن ان يتجرد منه لحظة واحدة من هذا العمر الطويل العقيم . فقد يفقد وجوده عند ذاك . وقد يتيه في خضم الفوضى الطاغية . ويخطيء طريقه في الحياة . قد لا يجد لمكانه بين جثث الاحياء الذين يطربون حواليه كل يوم . قد لا يعرف اصدقاءه وقد يتعرفون عليه . ولذا هو يشرب كل يوم صباح مساء وانه ليبصق في وجه كل من يعترض سبيله .

ويتنحنح بعنف . ويقذف في حوض المغسلة بصقة كبيرة خضراء تترجرج ثانية قصيرة ثم تهمد ويطغى عليها تيار الماء .

هنالك في « الرازونة » بقية من العرق تتلالا في قعر القنينة ، سيأتي عليها قبل الخروج من البيت . ويردفها « بنص ربع » من بار سامي . في طريقه الى الدائرة . « وانعل ابو الدنيا . منو ابو باجر » الموت نهاية كل شيء وكل حياة وسعادة المدير ايضاً سيموت يوماً مثل بقية البشر . ويتمدد جثمانه العظيم تحت اطباق التراب القذر ويأكل الدود عينية الجاحظتين الكبيرتين . ويصبح مضحكا مضحكا جداً . آه، ولكن . .



من يدري ؟ الا يجوز ان تشمله هو رعاية عزرائيل - قبل سعادة مديره الاغر ؟

وتتثلج رؤوس اصابعه . تماماً مثلما يحدث عندما يناديه المدير . ويفر الدم من وجهه . ولكن ساقيه لم تضطربا بعد . انه ما يزال ثابتاً على قدميه يمشط الشعرات الرمادية المتناثرة حول رأسه الاملس الشبيه ببيض النعام .

لقد اصابه امس اضطراب شديد . وكانت يداه ايضاً تختلجان . وقد اخذ القلم يرقص بين اصابعه . انه يذكر هذه الحقبة بوضوح . وما يزال يرن في اذنه صوت الفراش الهرم مصطاف « استاذ اكرم . استاذ اكرم » ولكن ما الذي حدث بعد ذلك ؟ عم تصايح معه المدير امس ؟ لقد كان هنالك موضوع جديد للشتم والتقريع . اجل هو يذكر ذلك . وكانت الحفلة فذة من نوع مستحدث . ولكن عم كان يحتوي برنامجها ؟ اف انه لا يذكر . لا يكاد يذكر شيئاً . امر مزعج تماماً . لقد فقد قوة التذكر - فضيلة الانسان الوحيدة . انه حيوان . حيوان ....

ويجفف جيوب اللحم المنتفخة تحت عينيه . ويقرع شطيرة المرآة بنظرات مستقيمة ذاهلة . ثم يدير ظهره فجأة ويذهب الى غرفته مسرعا كالهارب المطارد .

اوه . لا يذكر سوى هـذا الثالوث المقيت . خيرية - المدير - الموت ، ولا شيء غير ذلك . يجب ان يرتدي ثيابه على عجل . وذلك الثوب ايضاً - في بار سامي . الثوب الناعم المريح غير المرئي . ومن ثم يذهب الى الدائرة في كمال مزاجه وذروة كماله . « انعل ابو الدنيا . منو ابو باجر ؟ » الدنيا المومس التي تمنح نفسها لمن يدفع اكثر . ان شيئاً فيه قد مات . هذا امر مفروغ منه . ولكن ما الذي مات ؟ في رأسه ما تزال بقية من نور . وفي قلبه ما يزال وجيب خافت . وهو ياكل ويشرب كبقية البشر . ويذهب كل يوم الى الدائرة . وينجز اقل ما يمكن من واجباته الثقال . ولكن ما الذي ما الذي حدث له ؟ انه لم يعد حياً مثل بقية الاحياء . هنالك شيء فيه قد مات نهائياً . مات ميتة اكيدة . ولم يعد يشعر بالرغبة في القيام بعمل ما . لم يعد يريد شيئاً من الحياة . وليست به حاجة الى شيء . لقد ماتت نفسه . اجل ماتت نفسه . وهو الآن عبارة عن قشرة جافة تضم رفات نفس قضت من زمان . وان هذه النفس لتتشكل في ذهنه كجسد منفصل عنه . جسد غريب المظهر لا يعود له قط ، ومما يضحك حقاً ان لهذا الجسد زائدة دودية ايضاً . آه زائدة دودية بحجم ذنب الفار تنبثق من الجانب الايمن ويقهقه بصوت مسموع . ولكن شبحاً يمر عبر الغرفة وينفذ اليه وقع « البابوج » المألوف ، فتموت القهقهة في الحال وتساقط كاوراق الخريف على رفات نفسه الدفينة . ويتناول من تحت الاريكة المهدمة حذاءه الايمن . ويتأمله محزونا . ثم تنتقل عيناه فجأة الى بنصر يده اليمنى . وتجمدان عليه لحظة طويلة .

آه . انه يذكر الآن . يذكر كل شيء . حفلة الامس وتهريج سعادة المدير . وهذا الحز الابيض الباهت الذي يلتف حول بنصره . وبار سامي . والخطيبة « المزعومة » التي ما انفكت تنتظره منذ سبعة عشر عاماً . وهي تتامل بزهو حلقة الذهب التي حبست بنصرها الايمن كل هذه الاعوام الطوال . مسكينة امست كالليمونة الممصوصة . لقد لمح وجهها النحيف الطويل من وراء الزجاج قبل اسبوعين او اكثر . ثم اسدلت عليه الستار . كما اسدل هو ستار النسيان على حياتها وجعلها بائرة من غير معنى ولا امل كحياته هو . وتركها عبدة ذليلة لابيها الوغد

الشرير . آه لو يستطيع ان يصفعه على وجهه المنتفخ . ويصفع معه جميع الاوغاد قاطبة وعلى رأسهم سعادة المدير نفسه . ما باله يتدخل حتى في هذه الشؤون الشخصية البحته . اتضار مصالح الدولة اذا هو اودع خاتمه رهينة عند سامي حتى آخر هذا الشهر او الذي يليه او حتى آخر الزمان ؟ انه لا يكاد يفهم لا يكاد يفهم هذه الامور . حقاً هؤلاء الناس لا يستحون . لماذا لا ينسون وجوده هذه الاعوام القليلة المتبقية من عمره ؟ انه لا يريد ان يكلفهم اكثر من ذلك . فليتجاهلوا وجوده . ربما لم يبق من عمره سوى شهر او شهرين . بل من يدري ؟ لعله سيموت عند خروجه من البيت تواً . او في هذه اللحظة بالذات. اوه . انه يكاد يجن . يكاد يجن ...

ويندفع من الغرفة راكضاً . ويأخذ بالتهام فطوره بسرعة مجنونة .

لماذا لا يتركه وشانه هؤلاء الاوغاد ؟ وهذا النذل الاحمق الكبير سعادة المدير . لماذا لا ينساه؟ لماذا لا يشطب عليه بالقلم الاحمر كما يشطب على الاوراق الميتة ويكتب عليها «يحفظ» نعم يحفظ الى الابد . الى آخر العمر . اهو اكثر اهمية من سائر الموظفين ؟ او من تلك الملفات المكدسة في العنابر يعلوها غبار السنين . انه لا يختلف عنها بشيء . بل لعله اقل اهمية منها . فهي قد تنفع بعض ذوي المصالح بعد عشرات الاعوام . اما هو فمن الذي ينتفع منه ؟ المجتمع ؟ الفن ؟ الادب ؟ العلم ؟ العالم ؟ الانسانية ؟ الوطن ؟ منذا منذا الذي ينتفع منه؟ انه لا شيء . لا شيء تماماً . انه احقر من ذبابة لاصقة بالشريط المصمغ . لا يستطيع ان يجرجر عبر الحياة رفات نفسه الدفينة في ظلمات هذه القشرة الجافة .

« الاستاذ اكرم » هه .. استاذ . وهو بعد كل ما يقال استاذ . ومصطاف لا يريد ان يتخلى عن هذا النداء المحبب اليه بتاً تاً . يقف له كل يوم باحترام عندما يدخل الى الدائرة . ويرفع يده بالتحية فوق كتفيه المحدودبين . مسكين مصطاف انه ليضحك يضحك في سره من هذا الاحترام الذي لا محل له . آه لو يعلم . لو يعلم هذا الرجل المسؤول . هذا الجبار مصطاف من هو هذا الاستاذ ؟ الصحفي المتقاعد الحقير الذي كان ينشر بين الحين والحين اشعاراً منشورة يهديها الى « المزعومة » المسكينة التي ينتظر ابوها مهرها المؤجل منذ سبعة عشر عاما . لو يعلم كم هو حقير . كم هو جبان يخشى تحمل اتفه المسؤوليات. انه هارب هارب من وجه الحياة . على الضد منه هو الفراش الحقير في نظر المجتمع . انه يعبده . يرى فيه كمال الرجولة الكريمة الناهضة بعبء الحياة . انه يتمنى لو يصنع له تمثالا يخلد ابد الدهر . ولو يتاح له هو « الاستاذ » الكبير اكرم ان يرتمي على قدمي الفراش الحقير مصطاف ويقبلهما ويبلهما بدموعه الحقيرة . انه يريد ان يسجد امامه . امام هذا الجبار الذي يعيل سبعة افراد والبشر ابداً ينتفض بين تجاعيد وجهه النابض بالحياة. ان يسجد امامه خاشعاً كما يسجد المؤمنون امام فكرة الله. آه. لو يعلم ...

ولكن « بابوج » خيرية يقرقع من بعيد . فينتفض الاستاذ في مكانه قلقاً . ويهرع راكضاً الى الدرب . وقد اصطفق الباب وراءه بشدة واخذ الجدار يهتز . ولن يسير خطوتين حتى يسمع حشرجتها تولول من وراء الشباك ويلمح بالرغم منه تلك الدمامل والاخاديد الكريهة والعينين الناضحتين بالخبث واللؤم. « عيني كورروومي . لا تنس الطماطة واللحم والمعدنوز هم. ها عيني.. دزها بيد الولد كبل ما تروح للدائرة . » هذه ثروته الوحيدة في الدنيا . التركة التي خلفها له اهله . كنزه الثمين الذي لا يستغني عنه . آباء الناس يخلفون لابنائهم عمارات ومزارع وسيارات ومبالغ طائلة . اما هو فلم يحظ بغير خيرية ، هذه الدرة اليتيمة.. الكريهة. تف عليها وعلى شكلها القبيح . لقد وأدت حياته ودفنته في الظلام في ظلام بشاعتها . بالامس . بالامس فقط سلمه المدير انذاراً نهائياً . فما هو صانع به اليوم ؟ انه سيطرده سيطرده بلا شك وبلا ادنى تردد . ولتسلم خيرية بعد ذاك . ولتحي خيرية .

آغ ... آح ... آح... ويمتلىء الزقاق بضجيج تنحنحه لحظة طويلة . ثم يكور شفتيه ويقذف بصقة كبيرة خضراء على وجه الارض . ويحث الخطى مسرعا الى بار سامي

بغداد عبد الملك نوري

لعنة الزمن

للآنسة نازك الملائكة

بغداد

كان المغرب لون ذبيح
والافق كآبة مجروح
والاشباح الغامضة اللون تجوس الظلمة في الآفاق
والنهر ظنون سوداء
والريح مراوح نكراء
والضفة ارض جرداء
تمضغها الظلمة في استغراق
كانت خطوات الظلمة ترطم جو الشاطىء في استغراق
والصمت يفكر في الاحداق

***

كنا نتبع نعش الضوء
ونراقب خطو اللاشيء
اثنين يلوح على استغراقهما المبهم لون العشاق
كنا نرقب كأس الافق
ترضع من اوشال الشفق
وتصب الحمرة في قلق
فوق السيقان على الاوراق
فوق السيقان العارية الجرداء تغادرها الاوراق
في صمت وتضم الاعماق

***

كنا كالامواج الخرس
في عينينا لون الشمس
في وجهينا الوقرين خشوع المغرب والابد الخلاق
كنا نهمس كالانداء
كصدى مجداف في الماء
لم تقطع صوت الظلماء
بمدامع ذكرى او اشواق
كنا قد كفنا الماضي ودفنا اللهفة والاشواق
في الظلمة في صمت الاعماق

***

واراق المغرب الوانه
فوق الاشياء الوسنانه
لم يبق بناء لم تحمر اماليه لم يبق زقاق
حتى في صفرة خدينا
حتى في وجمة قلبينا
احسسنا اليقظه واللونا
حتى في دمنا في الاعراق
احسسنا شيئاً كالثورة في الدم في الاعين في الاعراق
شيئاً كاللهفة كالاشواق

***

حتى طرق الماضي الخربه
تلك الآفاق المكتئبه
لاحت واضحة الصمت يغازلها ضوء القمر المشتاق
لا فيها اشباح حيرى
تتبعنا غاضبة غيرى
ذات عيون تقطر غدراً
في الليل ، ولا فيها انفاق
لا فيها هاوية شوهاء ولا احراش ولا انفاق

لا شيء سوى القمر البراق
وهجسنا شيئاً منفعلا
في قلبينا .. شيئاً ثملا
يلهث عاطفة بعد جمود سنين مرت في استغراق
وانبجست اشواق وسنى
من اعيننا لوناً لونا
وتحرك في دمنا معنى
ناري الشوق صدٍ توّاق
وسدى حاولنا ان نسكته فهو صدٍ مرح توّاق
وسدى نطمره في الاعماق

***

ووقفنا في الظلمة نحلم
بالموج وبالليل المبهم
ونحوك من الرؤيا والانجم والامواج لنا اطواق
ونجوب العالم في عربات
صنعتها اذرع جنيات
من عطر الازهار الخجلات
من اسلاك الضوء الألاق
في قعر النهر على ارض يلمسها القمر الألاق
وتناست مولدها الآفاق

***

لكنا اذ كنا نحلم
احسسنا شبه صدى مبهم
في الامواج الداكنة الصمت سمعنا شبه صدى خفاق
« الجنيات المنتقمات
يصعدن الينا في عربات »
واجاب رفيقي : « لا هيهات !
ذلك صوت الموج الرقراق
الريح الحالمة البيضاء تمر على الموج الرقراق
وتخادع اسماع العشاق . »

***

لأياً وتبينا الحركة
ثمة واذا جثة سمكة
طافية فوق الموجة ميتة والشاطىء في اشفاق
وصرخت « رفيقي اين نسير ؟

لنعد فالجثة همس نذير
ارسلها عملاق شرير
انذار اسى ودليل فراق »
فاجاب رفيقي « نحن هنا يحرسنا الحب فاي فراق ؟ »
وسكت افكر في الطراق .

***

ومشينا لكن الحركه
ظلت تتبعنا والسمكه
تكبر تكبر حتى عادت في حضن الموجة كالعملاق
وصرخت « رفيقي اي طريق
يحمينا من هذا المخلوق
لنعد فالدرب يضيق يضيق
والظلمة محكمة الاغلاق
فاجاب رفيقي مرتعشاً والظلمة محكمة الاغلاق :
« نهرب ، لن تسلمنا الافاق »

***

وبقينا نهرب والسمكه
تتبع ارجلنا المرتبكه
تلك الاحداق واين المهرب من لعنة تلك الاحداق
وزعانفها السود الشوهاء
سدت في وجهينا الارجاء
واراقت في الجو الوضاء
سحباً سوداء ولون محاق
حتى وجه القمر السحري غشاه اسى وظلام محاق
وتلاشى مبسمه البراق

***

ورجعنا نسحب قلبينا
ونجر كآبة ظلينا
تتبعنا الاحداق النهمات بنظرة هزء ليس تطاق
حتى الاغصان المشتبكه
عادت تشبه عين السمكه
وتروع خطانا المرتبكه
والانجم عادت كالاحداق
والغد والماضي والدنيا وهوانا ــ في تلك الاحداق ــ
رسبت وتوارت في الاعماق

محاضرات في السعادة الزوجية

كتاب حديث لاندره موروا ـ يعرضه ويعلق عليه الناقد الفرنسي رينيه لالو ـ مترجم

بقلم محمد عيناني



قد لا يتاح لأحد ان يوفق في الحديث عن كتاب لموروا* مثل موروا نفسه . لأنه يعي وعياً عميقاً كاملا ما سخر له مواهبه الفنية والجمالية في سبيل إتمامه. وهكذا يتحتم علينا ، قبل عرض كتابه الأخير : «محاضرات في السعادة الزوجية» ان نستعيد معاً المقاطع القيمة المهمة من مقدمته لهذا الكتاب.وإذا كان علي ان ابرر ما ذهبت اليه من طريقة في عرض الكتاب ، فانما اشير الى أنه يتألف في الواقع من الحوار والمناقشة ، فليكن عرضنا له ـ إذن ـ حواراً وما الذه اذا كان مع كاتب كصاحبنا اندره موروا !

***

يصرح موروا بان محاضراته تلك ليست قصة ولا ملهاة ولكن أثر فني كتب للاذاعة وعهد به الى خيرة ممثلي الراديو الفرنسي : ماري ديا ، وماري ديمس وفرنسوا بيريه . وقد روى موروا منشأ هذا الأثر فقال: قصصت يوماً على احد المشرفين على الاذاعة الفرنسية أنه يوجد في الولايات المتحدة، وفي كثير من جامعاتها « اساتذة للعلاقات الزوجية » وهؤلاء يعهد اليهم تدريس فن السعادة للطلاب الأميركيين من الجنسين. ورويت ايضاً بان بعض هؤلاء الاساتذة يدعون تلامذتهم لتمثيل بعض المشاهد التي تعد تطبيقاً للدروس والمحاضرات المعطاة ، راقت هذه الفكرة لبيار فيالي ، فاوحى إلي ان أقص على مستمعي، وكأنني احد اولئك الاساتذة ، قصة زوجين كما يجب ان تكون وكما لا يجب ...

واندره موروا يعترف بانه دهش لما لاقته هذه «اللعبة» من نجاح ، أما نحن فلا ندهش اذا فكرنا ملياً فيها . فان الحديث عن الحب ، حديثاً مجرداً ، يدعو الى الصمت او الموجدة ، إذ تصطدم تجارب المحدث بتجارب المستمعين، اما افتراض زوجين من الواقع ، تحاك حولهما اسطورة من حياة الواقع ايضاً فامر اقرب الى ان يساير الناس ويحترم علاقاتهم الخاصة ويثير تعليقاتهم ان لم نقل إعجابهم « باللعبة ». وهكذا راحت الطلبات ترد على الكاتب لتسجيل هذا الحديث او نشره في كتاب. وهذا ماحدث فعلا

يقول موروا : « إن اذاعات عشرة بلدان ترجمت هذه المحاضرات واذاعتها. وقد ارادت صحافة انكلترا واميركا والمانيا وسويسرا وايطاليا ، السياسية منها والادبية ، نشر هذا الحوار واخيراً عرض علي صديقي فرانسس آمبريار ان أسمح له بنشره في كتاب ، بعد ان اضيف ما اذيع من الراديو واتممه. فترددت. فكيف انشر ، على انظار القراء المتمهلين المدققين ، والنقاد المتلهفين الى الاخطاء،ما أعد في الواقع ليذاع على الناس بصورته الارتجالية المبسطة ؟ ولكن «امبريار» ألح علي قائلا انه سيشير الى صفة هذا الحوار الارتجالية ... وهكذا نزلت عند رأيه واشارته ونشرت هذا الكتاب .

هنا تنتهي مقدمة موروا ويرتفع الستار عن اول درس من الدروس الاثني عشر التي يجود علينا بها استاذنا العالم ، الدكتور في العلوم الزوجية ... ها نحن نسمعه يدق على الطاولة بضربتين مسرعتين متلاحقتين ليصغي اليه الطلاب والطالبات :

لا تمكننا ان نتهم عالمنا الاستاذ بانه نظر الى مهمته بعين الاهمال او الاستخفاف . فما ان انقطعت الاحاديث من الصالة ، وكف

* André Maurois -Cours de Bonheur Conjugal

الحضور عن الوشوشة والهمس، حتى نهض استاذنا واعلن بانه سينصرف الى البحث الجدي والعرض العلمي ولذلك فلن يقتصر على الزواج وما يليه بل سيعود الى منشأ الزواج وما بعد من مقدماته اي مطارحة الغرام والامتلاك ...

اما هي ... فتدعى ماريز .. فتاة في روعة الفجر ونقاء الزنابق، في العشرين ربيعاً، ويدعى هو فيليب، في السابعة والعشرين من عمره، ويعمل مهندساً في «المصالح الصناعية لشركة اتحاد المصارف» بعد ان نال شهاداته الجامعية منذ امد يسير ...

ومن العبث تساؤلنا عن البادىء في المغازلة والمغامرة... فموروا سبق فضولنا الى ذلك. فهو يوافق جيرودو في كتابه «أبولون بيلاك» ان ابعد الرجال عن الجمال يحسب نفسه مثالا للجمال إذا اوهمته امرأة جميلة بذلك. اذن «ماريز» هي التي تغازل فيليب. وهي ليست غاية في الحمق والسذاجة. ففي أصيل احد أيام العطل المدرسية التقت بفيليب على رمال الشاطىء. فجلست قربه بعد المقدمات المعهودة من تحية واحاديث سطحية. وراق الشاب لها بعد ان تشعبت الاحاديث. ثم سألته عن «مشاريعه» التي يعدها للمستقبل، ولم يفهم فيليب في البدء، لماذا تهتم هذه الفتاة بمهنته ومشاريع رحلاته. وها هي تعود الى الهجوم، وتبدي إعجابها المطلق بمعلوماته الواسعة، وتقنعه بانها تشاركه في تقديره للقيم السامية. وهكذا يصبح هذا الرجل رهيناً بمشيئة هذه المرأة ولذلك طريقة غاية في السهولة: فان على المرأة ان تقنع الرجل الذي تعجب به بانها تعجب به وانها على اهتمام شديد بما يهتم به ويؤمله من غايات ومثل. أتظن يا قارئي ان هذا بعيد عن الواقع؟ لقد خطرت هذه الفكرة لموروا، بعد نهاية هذه المحاضرة الاولى فتصور ان احدى التلميذات تقدمت بعد ختام المحاضرة من استاذها العالم المحاضر وراحت تناقشه الرأي وتسديه المزيد من المديح والاطراء في ثنايا نقاشها وجدلها، فتابط ذراعها وقد استسلم اليها بين ضحكات الطلبة الخبثاء...

ولنمر مروراً سريعاً بعهد الخطوبة وهو عهد يقول عنه موروا انه هين هنيء. فان الصعوبات الحقة ستبدأ برحلة شهر العسل. فماذا نجد؟

إن «موروا» يصور مخلوقين ظنا أنهما متفاهمان اعمق تفاهم، يصورهما وقد بدا لهما جهل كل منهما لتفاعلاته حيال صاحبه، وجهله كذلك بحركاته العميقة الخاصة التي لا بد لها من ان تصطدم ولو بظلال وانعكاسات حركات الآخر ... وها هما قد دفعا الى ذلك الجهاد الزوجي الباحث عن السعادة.

وها نحن نراهما، في أصيل اول يوم من أيام الزواج، عند محطة «ليون» ينتظران القطار، ها هما يصعدان الى مركبة خاصة وها ان القطار يستعد للرحيل. فهل يعد انطلاقهما هذا بشيراً بعهد سعيد ترفرف فيه عليهما وحدة كاملة وسعادة مرجوة؟

اندريه موروا

إن هذا الأمل يعود اليهما امر تحقيقه، بهذا يجيب الاستاذ وهو يمر ببطليه في ساعة الخلوة هذه، بطريقتين مختلفتين، في المرة الاولى يتصور استاذنا المحاضر ان الزوجين الجديدين ينطلقان في ثنايا مناقشات وأحاديث عنيفة حول الأصدقاء والأقرباء، فيتخذ فيليب موقف الرجل الآمر. فتثور ماريز ثم تغرق في البكاء فجاة. ما اقرب هذا الاستهلال الى الشقاء! وما اسخف هذه الفاتحة! ومن حسن الحظ ان المحاضر يعرف ان يدير اللولب في آلة الزمان ... فنعود لنرى هذين الزوجين عند نقطة انطلاقهما الاولى. والاستاذ يتصور لهما عمقاً في التجربة وغنى يعصمهما عن الحديث والجدل فيما لا يمس لحظتها الحاضرة وسعادتها فهما يتحدثان عن المدعوين والحفلة والساعات الحلوة التي مرت بها في الماضي ... وهما يقتصران في احاديثهما على ظلال سعادتهما المتواخية لهما في القبلات والهمسات المختلسة تحت ادواح الماضي. وها هما قد نسيا سائر العالم لينحصرا في ذاتيهما ... فياخذ فيليب صاحبته بين ذراعيه ويهمس في اذنيها ارق كلمات الغرام والنجوى.

***

ويتابع موروا دراسته هذه، غير آبه لما يمكن ان ينسب اليها من سطحية وبساطة، لأنه يعتقد انه من اصعب

المغامرات احياناً التزامنا للبساطة عند لزومها .. فنرى الزوجين وقد اراد لهما موروا نوعين مختلفين من الحياة ، اي أن كل مشهد من مشاهد حياتهما، يرويه الكاتب بطريقتين متغايرتين. وها هما يسكنان في غرفة من فندق قديم ، مظلمة حقيرة ، ذات ستائر حائلة ، وبسط متآكلة ...

ومن وقت لآخر ، يصفر قطار في البعيد .. وفي منزل مجاور يتدرب طفل على البيانو محدثاً نشازاً هائلا يثير الاعصاب... ففي الرواية الاولى ... او المشهد الاول ، سمه كما شئت ... يصطدم الزوج والزوجة ... وتزعم هذه انها مجهدة تحس بالتعب القاتل . اما فيليب فيتجول في الغرفة كانه الدب في القفص . وتحتج ماريز على احضاره ملفات عمله الهندسي لدراستها . اما هو فيثور لأن الضجة في الخارج تمنعه من العمل . وعند اقل بادرة ... ينفجر احدهما ويذر الخلاف قرنه ...

واما في الرواية الثانية ، للمشهد نفسه ،فالزوجان لا يحلمان الا بالحب والالفة ، ولا يفكران الا في نفسيهما كما اسلفنا .. فتصبح الغرفة الشاحبة الحقيرة فردوساً صغيراً بهيجاً ... اما الحان البيانو فتحمل اليها نوعا من البهجة والمرح ... والابتسام... واما اصوات القطار والأجراس فتحملها الى اجواء من الاغتراب والنسيان والسعادة ... انهما يتسمان من سذاجة ذلك الطفل الذي ينحر الموسيقى طائعاً مختاراً ... ولكنهما لن ينسيا ما عاشا هذه الموسيقى التي ترتبط في روحيهما باحب الساعات اليها واحفلها بالسعادة والحبور ...

***

وها هما يعودان الى باريس ويتخذان لهما بيتاً . وها ان مشكلة تعترضهما فور وصولهما . مشكلة عويصة. الا وهي مشكلة علاقات كل منهما بمن اختارهم ليكونوا اصدقاءه الدائمين . ثم الا يتدخل هؤلاء الاصدقاء في حياة الزوجين الخاصة ، بما يطلبونه من اعترافات وما يبدونه من احكام ، وما يلقونه على الزوجين من ظلال وشكوك تنغص حياة الزوجين وتقض مضجعهما . ان المشكلة ولا شك عويصة الى درجة اننا نتسامح مع الاستاذ الذي ينطلق في محاضرة مجردة فكرية ، لان المسالة عادت تحتاج الى تحليل عميق طويل

وقد انتهى عالمنا المحاضر الى انه يتحتم على كل من الزوجين ان يختار اصدقاءه بحذر وروية مضحياً ببعض العواطف. مختاراً اصدقاء لا يطمحون في المستقبل بالتفريق بين الزوجين . وعلى كل فالزوج يكون والحالة هذه اول اصدقاء زوجه . وهذه قاعدة لا يتخلى عنها محاضرنا بسهولة . بل لعله لا يتخلى عنها مطلقاً . وها هو يدلل على ما سلف بمشهدين مختلفين كعادته . ففي اولهما نجد « برت » و « كارين » تبحثان عن خير الوسائل لاثبات فشل العلاقة الزوجية هذه الجديدة . فتتأثر الزوجة بما تقوله الصديقتان وتقع الواقعة . ولكن في المشهد الثاني ، او النسخة الثانية للحادثة ، نرى الى الزوج يشعر بخفايا المسألة فيبادر الى انقاذ الموقف بعد ان يكتشف دس الصديقتين ويقنع زوجته بخيانة هذه المحاولات الخارجية لافساد سعادتها الخاصة العزيزة . وهو يوضح لها بان السعادة تتطلب امتزاجا دائماً كلياً. فتستسلم لارادته ، وينجو زواجها من عقبة كاداء ، ومضيق خطر

ثم يستطرد موروا الى ما يسميه بالعقبات الثانوية . فنرى حوادث طريفة تقع بين الزوجين فاذا بماريز تثور غضباً وحنقاً لأن زوجها يستعجلها اثناء انصرافها الى زينتها امام المرآة ، ويلح عليها بان تنتهي باسرع وقت حتى لا يفوتها الموعد المضروب للعشاء عند مدير الزوج ... وفي حادثة اخرى .. نجد الزوج « يحرد » ويلجأ الى سريره لانه عاد في المساء ، ولم يجد الطعام جاهزاً خاصة وقد انصرفت زوجته الى جريدة مصورة تعنى بالازياء ... اما ما ينصح به استاذنا المحاضر حيال هذه الحوادث التي يتعرض لها الازواج دائماً ، فالرقة واللطف وروح المرح والدعابة ... والا تحولت حياتهم الى جحيم منشؤه شرارة ..

أما موضوع المحاضرة التالية فهو « الاذواق والالوان » . ونحن نعلم ان كلمة مأثورة تدعونا بان لا نناقش في قضية الالوان او الاذواق . وهذا صحيح ولكن بعد ان نتناقش في صدده بحرية . لا والا كنا معرضين لأن نسمع احد الزوجين يصرح يائساً بان شريكه متشائم او متفائل بطريقة تدعو الى الياس حقاً. وقد يقال : هذه كلمات اوسع واكبر من مجرد حادثة بسيطة تافهة . وهذا صحيح ولكن الاستاذ يلاحظ بان امثال هذه الحوادث البسيطة التافهة تتجمع عادة في أذهان الازواج ... فتتكون منها مجموعة كمجموعات الصور ... وهذه – كما يشير موروا ساخراً – ليست كنزاً في الحقيقة بل باروداً يتاهب للانفجار ودك الحياة الزوجية من أسها ...

ونحن نلاحظ ، بالكثير من الاغتباط والرضا ، كيف ان استاذنا المحاضر ، يرى نفسه مدعواً لتوجيه النصح للزوجين بعد ثلاثة اعوام من زواجهما ، فينصحهما بتوخي العادات اللطيفة

والمسلك الرقيق اللطيف... وهذا شيء يصبح محتوماً اذا تأملنا في تلك الحادثة التي عرضها موروا والتي جرت بين الزوج والزوجة وبعض مدعويه في سهرة من السهرات ... فقد راح الزوج قبل حضور عائلة « روبيشون » يوجه الى زوجته الانتقادات والتوجيهات بلغة جافة قاسية ، وسرعان ما اتخذت الزوجة موقفاً معاكساً عندما حضر « الروبيشون » - ومنهم مدير العمل وبين يديه ترقية الزوج او خفضه - ولكن ماريز لا توفره ولا تبخل على الاسرة المدعوة من ملاحظاتها الساخرة وتقطيباتها ...

وهنا يتصور «موروا» أن بعض الطلاب أبدوا احتجاجهم على هذا المشهد وأنه بعيد عن الواقع. وأنا اشاركهم في هذه الملاحظة ولكنني اشير الى أن شخصية موروا هذه ليست شيئاً مجرداً، فكرياً، او العوبة تحركه خيوط مشتهاة، بل إنسان حي له معايبه وله لحظات جنونه ... وقد يذهب بنا الخيال الى ابعد من هذا لأن الحياة في الواقع تذهب الى ابعد من هذا ايضاً...

***

« ويسدل الستار ليرتفع بعد مرور عشر سنوات على زواج ماريز وفيليب »

لقد رزق فيليب وماريز بولدين ولاح منزلها وقد جنح الى نوع من الهدوء والاستقرار والثبات . ولكن حذراً! فقد يدل هذا الظاهر الجميل على اختلافات عميقة في الداخل وها هي المسالة تتواضح . فقد أملت ماريز مستقبلا براقاً، يمور بالأماني والامجاد ، لزوجها الذي قنع بمصيره وراح يسير خطوة فخطوة في حياته «الروتينية» الهادئة . اما هو فقد خابت أمانيه إذ ان زوجته ستكون شريكة له في عمله. وعندما يتذمر ويشكو من أنها لم تحقق امانيه ، تجيبه بانه آسف في الحقيقة لأنه لم يتزوج من الحسناء «شانتال» !!

وهنا لا بد لنا من ان نقف لحظة نعرف فيها بهذه الشخصية الجديدة، فهي فتاة تردد ذكرها في

هذه المحاضرات منذ بدايتها، وقد كانت بطلة تجارب فيليب الاولى في مضمار الحب والهوى، وهي فتاة تثير بجمالها وحيويتها غيرة الزوجة المتمرة الثائرة، وهي غيرة تذكيها وتضرم سعيرها اقاويل اصدقائها وصديقاتها على اختلاف غاياتهم ونفسياتهم ...

وتظهر «شانتال» على المسرح فعلا، كطائر من طيور العاصفة ليعلن قدومها المستطير ... وقد تزوجت شانتال رجل الصناعة «روميلي»: وما ان تظهر حتى تتحداها ماريز وتدعوها مع زوجها الى بيت أهلها على البحر المتوسط ... وفي هذا الاطار الرومانطيقي الأخاذ، تصرح «شانتال» لفيليب بانها حافظت على حبه طيلة حياتها الماضية ... وها هما يغرقان بأسها وما افلت من سعادتها بقبلات سريعة، مختلسة، ومع ذلك فتوازن المنزل قد اختل ... كما هو طبيعي ...

وبعد تجربة الخيانة المتجددة مع شانتال يتعرف فيليب الى الممثلة الشهيرة «دولوريس غارسيا» وتنشأ بينها علاقة غرامية تفضحها شانتال وتعلم بها الزوجة ... وبعد ان تتكرر خيانات فيليب تنشأ عند الزوجة فكرة الانتقام ...

كان لفيليب شانتال ودولوريس يدفعانه الى الخيانة الزوجية اما ماريز فقد اكتفت «بديك مناجا» الاختصاصي بالاغراء. وها نحن نتبع الصديقين؛ ماريز وديك، من صالات الكوميدي فرانسيز الى غرفة الطعام في منزل العاشق الولهان، ثم نرى ماريز في غرفة زينتها تتاهب لمجابهة العاشق في عرينه. لقد صممت على الاستسلام، ولكن ها هو زوجها يعود صدفة فتصحبه الى منزل عشيقها ...

إنها قاومت هذا العشيق رغم جماله وبراعته في فنون الاغراء قاومته لأنها استعادت ذكرى سعادتها الماضية ومحافظتها على قداسة الروابط الزوجية بصفة فردية.

ويمضي الزمان والزوج في غيه وحياته المستهترة. وها ان الزوجة تستسلم فجاة بعد تمنعها على اجمل العشاق واقدرهم، تستسلم لوزير مفوض كهل بعد ان تلم بها فاقة مصطنعة، سببها حياة زوجها العاصفة، وتقبض من الوزير ثمن الخطيئة ثروة كبيرة.

وتبدي احدى الطالبات، للاستاذ المحاضر، قرفها من هذه الحادثة السيئة فيجيب هناك يا آنستي كثير من الحوادث السيئة في حياة الازواج ...

ـ إنك، على كل حال قد افسدت علي ماريز التي احبها ...

فيجيب الاستاذ موروا: ـ اطمأني. فساعيد لك ماريز على نقائها الأول كما تحبينها ...

***

وموروا يعرض في الدرس الأخير، [او المشهد الأخير، او المحاضرة الأخيرة] الزوجين وهما يحتفلان بعيد زواجهما الفضي ومرور خمسة وعشرين عاماً على قبلتهما الزوجية الاولى، وهو يعرض هذا المشهد بصورتين: في الصورة الاولى حفلة رسمية باردة وقد تمثل فيها الوزير العاشق وشانتال العاشقة، اي دلائل فشل الزواج المادية ... وفي الصورة الثانية نجد احتفالا خاصاً، مقتصراً على الزوجين وحدهما، وقد جلسا في غرفتهما الخاصة، جنباً الى جنب، يستعيدان، بلهجة مؤثرة مرتعشة، ذكريات غرامهما وزواجهما السعيدة ويشعران بان بيتهما ثبت لمختلف الاعاصير وبانه يتحدى كل ما سيعصف به في المستقبل.

فاذا رأينا الزوج بعد ذلك، فبصفته والداً لثلاثة اولاد وهبوه ستة أحفاد. وان موروا ينتظر حتى الصفحة ٢٣٧ من كتابه ليصرح لنا باسماء هؤلاء الاولاد والاحفاد. فنعرف ان «مونيك» في مصر مع زوجها وان مارك في الولايات المتحدة. والابناء، كما رأينا، لم يلعبوا اي دور هام في هذه المحاضرات ... فهل قصد موروا ان يحذف اثر الاولاد في تقوية الروابط بين الزوجين فيكون بذلك قد جرد الشخصين المطلوب درسهما من كل ما حولهما من وسائل التشبث بالسعادة، وعرض لنا نفسية بطليه فحسب ؟

ان موروا قد اراد ان يثبت ان الزواج وحده، ووحده فحسب، يسعه ان يحول الحب الى صداقة دون ان يقتل الحب، وهو امل، كما اظن عزيز على قسم كبير من القراء ...

محمد عيتاني

برمثيوس

•

لبلند الحيدري

بغداد

•

وكالذرى ،

تلك التي لا ترى ،

في صمتها القارص غير الرعود

اعيش في موتي واقتات من

سري الذي كان ، فكان الوجود

لا هاجس يبحث بي عن صدى

ولا غد يحلم لي بالخلود

والليل ان مر ولم ينته

لن يسأل الشك .. ترى هل تعود ..؟

تعود او لا تعود .

فليس في مطرحي ساعة

يحصي بها الوقت خداع الوعود

هذي يدي ،

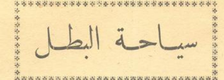
نفضت منها غدي ،

ومولدي الراسف بين القيود

فليحلم النسر باموااته

ولتحلم الموتى بسر الخلود

من ايام الرعب



بقلم يوسف الشاروني

مهداة الى الصديق بلند الحيدري الذي احب شعره

•

أنا رجل عادي يعبر عن الرجل العادي... واذا كان المسيحي في قصة جون بونيان قد استطاع ـ بعد كفاح وعقبات ـ من الوصول الى المدينة السماوية، فان الرجل العادي في حضارة القرن العشرين، ما يزال يكافح ـ بنفس الطاقات الدينية ـ في سبيل الحصول على الضرورات الاولى لحياته... بعضهم يكافح يائسا كما كافح كيركجورد في علاقته بريجينا، وبعضهم يصارع متفائلا كما صارع يعقوب حتى الفجر

•••

مؤمن عبد السلام عبيد، استطاع ان يحصل على وظيفة كاتب بمصنع للدخان بمرتب شهري قدره اربعة عشر جنيها، كما خطب الى نفسه اخيراً فتاة استطاع اقناعها بان تشاركه حياته، واسمها على سبيل المعرفة عنايات. لكنه ما لبث ان قال: وما فائدة الوظيفة وما فائدة الخطيبة اذا لم يكن لي بيت؟ لهذا في صباح كل يوم من ايام الجمعة، يوم عطلته الاسبوعية، يقوم كانه ذاهب الى عمله اليومي، يقوم كانه يؤدي واجبه الديني، يقوم كان امامه رحلة طويلة شاقة.

ونظر الى الرجل الذي شاركه غرفته هذه الليلة. كان شخيره لا يزال يعلو وينخفض، ورائحة الريف تنبعث من ثيابه، وصياح الدجاج ورائحتهم تنتشر في المكان. ففي مساء الامس اقبل هذا الرجل يحمل اقفاصاً من الدجاج حين كان النعاس قد اخذ يتسلل الى عينيه، وحين كان المكان قد هدأ الا من صوت الارانب التي يربيها صاحب الفندق وهي تقفز في الظلمة وتحت السرير من حين لآخر... ثم جمعتها الغربة والوحشة والظلمة المغرية الخبيثة، فمضى يدلي باعتراف كامل عن تاريخ حياته، وكيف تدرج حتى اصبح اليوم تاجراً للدجاج، وها هوذا قد اقبل بهذه الاقفاص جميعها يرجو ان يبيعها في سوق المدينة صباح اليوم.

وأمام باب الفندق كانت هنالك نصف دائرة تنحني نحوه، تتكون من زجاجات الغازوزة المقلوبة، قد دفنت منها رؤوسها في التراب، وبقيت بقية اجسامها متساندة منحشرة بعضها الى بعض على هيئة نصف دائرة تنحني نحو طرفي الباب. وكان صاحب الفندق يقصد بذلك ـ فيما يظن ـ الى زركشة المدخل العام وجذب انظار العابرين. وكان هذا هو ـ على ما نعلم ـ جهده الوحيد الذي بذله للاعلان عن فندقه العظيم.

وعبر نهاية الحارة، وفكر لحظة ان يقف عند مطعمه المفضل ليتناول شيئاً يستعين به على رحلته المقبلة الطويلة خلال أزقة المدينة وشوارعها. ولكن لم تكن له شهية على الاطلاق. وكان المطر قد هطل غزيراً في تلك الليلة وتبقى منه الآن برك وأوحال مضى اطفال الحارة يتسابقون في خوضها، فتفاداهم وهو يواصل سيره... فقد كان يعرف اليوم الى أين يتجه ولو في الساعات الاولى من هذا النهار، فقد كان عليه ان يمر بمنزل صديقه صلاح ليدله على مسكن متواضع عساه يروقه وتروقه عروض صاحبه. وكان مطلبه ـ كما يبدو من اخفاقه المتتالي ـ عسيراً للغاية، فهو لا يريد سوى مسكن متواضع باجر متواضع، مسكن به يؤدي غرائزه الاولى: غرفة للنوم واخرى للاستقبال ومطبخ للطعام ومرحاض، وكان هذا ـ فيما يبدو ـ عسيراً للغاية.

فلما ان وصل الى منزل صاحبه وعلا الدرج المعتم المتكسر، طرق الباب طرقاً خافتاً متوالياً، فقد كان يبدو كأنما النعاس لا يزال يملأ جنبات البيت. وحين أعاد الطرق من جديد، أعلى صوتاً واكثر جرأة، ترامى الى سمعه وقع اقدام مقبلة. فلما فتح الباب وجد نفسه امام الزوجة الشابة وهي لما تزل في قميصها الليلي، وكتفاها تبدوان مستديرتين ناعمتين. ولما لمحته تراجعت الى الوراء قليلا، وصاحت معتذرة: لا تؤاخذني، ظننتك بائع اللبن. ثم

قصة

آذنت له في الدخول وهرولت الى الداخل .

ولقد رأى صديقه جالساً في الردهة يتناول إفطاره. وبدا له انه شخص متطفل يزعج الناس في بيوتهم في مثل هذا الوقت المبكر وفي يوم راحتهم الاسبوعية ، ولكن ما كان له ان يتردد فاندفع وصاحبه يصيح به . تفضل يا مؤمن ، فانت لم تاكل بعد بلا شك ، وأحس ان شهيته تنفتح الآن حقاً ، ولكنه ادعى انه أفطر ، وتمتم متشكراً ، وهرول متجهاً نحو غرفة الاستقبال. ولكن صديقه صاح من جديد يريده ان يجلس معه ويشاركه الحديث. وهكذا جلس أمامه،وهو يود لو ينتهي من طعامه سريعاً فوجوده في مثل هذا الوقت قد قيد حركات الزوجة قليلا بلا شك. ولعله أزعجها حين رآها وهي لما تنفض عنها النعاس. وهناك البيت الذي يود لو يحصل عليه سريعاً . ولكن الحاح صديقك يا مؤمن وهدوءه وعدم اكتراثه لما بدا عليك من خجل، لم يدع لك مجالا للاعتراض ولا لابداء شيء مما يعتريك .

— هل لك يا مؤمن في سيجارة ، ما اخبار مصنعك يا مؤمن، هل لك يا مؤمن في قدح من الشاي... وكانت الشمس تنفذ من خلال النافذة ، وصديقي يتناول القدح ويقدمه لي ، ثم يقذف نحوي بعلبة سجائره. وكان علي ان ارضيه فاطيع ، فانا اليوم في حاجة حقيقية اليه، وهو وحده الذي يعرف الطريق الذي ننوي ان نسلكه بعد قليل من الزمن ، وهو وحده الذي يمكن ان يكون واسطة بيني وبين صاحب البيت الذي نقصده. وحدثني عن عملي ، وحدثته عن طفله ، وشرب قدحه من الشاي وشربت قدحي من الشاي ، وتناول قدحاً آخر ودخنت سيجارة اخرى وقام يتحرك وشعاع الشمس يزداد اقتراباً مني ، وهو يغسل وجهه ، وهو يختفي عني ، وانا وحدي في الردهة ، وزوجه تعبر أمام وجهي ، وانا اشتهي النساء ، واشتهي حبيبتي ، عارية بضة ، وغرفة النوم، وغرفة الاستقبال، والمطبخ والمرحاض، وصديقي قد ارتدى بذلته ، وانا أود لو استعجله ، وهو يختفي عني قليلا ليداعب طفله ويودعه ويودع زوجه، وانا في حاجة حقيقية اليه، حتى جرؤت اخيراً ان اصيح قائلا : — لقد آن لنا ان نخرج .

— وفيم العجلة يا صديقي وأمامنا نهار كامل.

— ولكني لا اريد ان تضيع منا عبثاً دقيقة من دقائق هذا النهار

— لا تخف ، لا تخف ، فان زوجي تعد لنا القهوة ، فاذا شربناها خرجنا تواً . — لكننا شربنا الشاي !

ما رأيك في سيجارة اخرى ؟

فلما تناولا القهوة ، خرجا الى الطريق ، فالى طريق آخر فثالث .. طريق بعد طريق . طرق بعضها متسع وطرق بعضها موحل وكان عليهما ان يخوضا وان ينفضا الوحل وان يستنشقا الوحل ، ومؤمن يتكيء على ذراع صديقه بين حين وآخر ، يتامل رأسه احيانا وعينيه احيانا .

كانت بينهما صداقة طويلة عنيفة ، فهو يكرهه وهو يحبه . وكانا يحسان في هذه اللحظة انهما قد استنفدا كل شيء بينهما . تحدثا في كل موضوع ، وعاشا كل انفعال . وما يزال كل منهما في حاجة الى الآخر . وسارا صامتين ، يعبران بقايا الوحل ، يتفاديان دوائر الماء الضحلة ، ومؤمن يبحث عن معنى يتألق في نفسه ، او يثير خبر من اهتمامها او امل يصطنعانه معاً . فقد كان صمتها الآن محرجا للغاية ، كانما فيه حكم على ما يشوب علاقتها من شيخوخة تحتاج الى التجديد . وكان مشروعها الذي يهدفان اليه الآن قد ادخل شيئاً من الحدة على علاقتها ، واحيا الرابطة التي بينهما . ولمحه مؤمن يتفرس فيه كانما ليؤنبه على صمته، وادرك ان صديقه ينوي ويمهد للحديث ، وكان يود لو يحادثه ، فعاونه على محاولته بان تهيأ بوجهه لما عساه ان يقول ، وقد صدق توقعه حين رآه يهمس : — فيم تفكر؟ — لا شيء — بل تفكر في شيء. افكر في شيء ، بل انا افكر في اشياء كثيرة ، غير مجرد العلاقة التي بيننا ، وانا اعلم انه يصر ان احدثه ، وكان علي — وانا اعبر بقايا الوحل — ان اختار له موضوعاً ما ، فاجبته :

— في البيت الذي نحن ذاهبون لرؤيته .

— بل تفكر في شيء آخر

— بل هذا ما كنت افكر فيه. — بل في شيء آخر .

وهكذا حدث ما كان يخشاه ، فها هوذا يحاول ان ينتزع شيئاً منه ، شيئاً من اعمق اعماقه ، يخفيه هو عن نفسه ، شيئاً غامضاً لا يعرفه وربما لا يريد ان يعرفه ، لا يريد ان ينتزع منه اعترافاً ، بل ما وراء الاعتراف . هو يعتبر موضوع السكن تافهاً لا يرضيه ، وعليه ان يختار له موضوعا يقنعه انه محور تفكيره . وكان قد قرر الا يذكر له كثيراً عما بينه وبين خطيبته عنايات ، فيكفيه ان يعرف امر العلاقة العامة ، اما التفاصيل فهي شيء خاص به . وكان يعلم انه كثيراً ما اغراه بالحديث عنها ، ولكن في كل مرة يعود من عنده وهو يحس انه قد امتلكه ، فلم يعد له سر خاص ، وقد سلبه، سلبه بطريقة تهلكه تماماً. فلما لاحظ صمته همس في رقة : وكيف حال عناياتك ؟

وابتسم مؤمن ، وتملكة اغراء ان يحدثه عنها طويلا ، لكنه كان يقاوم وهو يواصل هجومه :

ـ هل قابلتها بالامس ؟

ـ نعم ، وهي على خير حال وتبلغك تحياتها .

نعم هي تبلغك تحياتها ، وهو خبر ليس مختلقاً ، الا انني ما ذكرته لك يا صلاح الا عساه ان يرضي غرورك ، راجياً ان تعدل عن مواصلة الحديث في هذا الموضوع ، لكن هذه الوسائل ما كانت لتجدي معك ، فعلي اذن ان اندفع في الحديث ، وان اذيع آخر الاخبار ، الاخبار التي كنت قد قررت في مرار كثيرة سابقة ـ ان تظل ملكي انا وحدي .

***

وفي النهاية وصلا الى زقاق، والزقاق ينتهي ببناء، والبناء ضخم جديد لا يتفق والزقاق . وحين رأى مؤمن صديقه يتجه نحوه، لم يصدق ذلك اول الأمر، ثم قال لعله ذاهب يستفسر عن شيء. فلما أصبحا وجهاً لوجه أمام بوابة النوبي الضخم، أحس شيئاً من الاشفاق والتهيب وهمس في اذن صاحبه:

ـ هل المسكن الذي نبحث عنه موجود في مثل هذا البناء ؟

ـ بلا شك ، والا فما معنى هذه الرحلة الطويلة كلها ؟

ـ لكن مساكن هذا البناء من النوع الذي يعلنون عنه في الصحف

ـ لكن هناك مكاناً اعتقد انه يلائمك . الا ترى هذا الطابق الأرضي؟

ـ بل هو تحت الأرض .

ـ بل هو خير من مسكن الذي اوشك ان يتداعى .

لكن هذا المسكني تحت الأرض، ومسكنك يوشك ان يتداعى والبواب يقبل نحونا ، وصديقي يحدثه ، وانا اتفرس في سمرته، في النقوش المحفورة على خديه، فعلى كل وجنة ارى شكلا هندسياً لخطين متوازيين ، وهو ذو ثقة عظيمة في نفسه، انه يحس باهميته وانا الآن نعتمد عليه وعلى كل حركة وكلمة منه . وغاب لحظة ، ثم عاد وبيده مفتاح من النحاس الاصفر مربوط الى قطعة من الدوبار مع كمية هائلة اخرى من المفاتيح المختلفة الألوان والاحجام وتقدمنا ونحن نتخفض خلفه بعض درجات . ثم وقف وتنحنح وبصق. وادار المفتاح في الباب. وكان علينا ان نتحني قليلا جداً ونحن نعبر الباب حتى لا نصطدم باعلاه . وكانت رائحة الطلاء لا تزال تفوح من جنبات الجدران. كانت الغرف ضيقة ومنخفضة ومعتمة ورطبة ولكنها نظيفة جداً ، مهيأة اكثر مما أرجو ، فها هي ذي غرفة الاستقبال ، وها هي ذي غرفة النوم ، ومطبخ ومرحاض ، وهنالك ايضاً ردهة وحمام . كانت فيه الكهرباء وكانت تمتد خلاله أنابيب المياه وكان يكسو ارضه البلاط. وبنوافذه زجاج عليه طلاء أبيض كثيف يحول بيننا وبين اقدام العابرين في الطريق ، وبين نظراتهم اذا شاءوا الانحناء ، وهناك اسلاك دقيقة النسمات وقضبان حديدية بين الزجاج والأسلاك . وكان البلاط في بعض الغرف مزخرفاً، وكانت الجدران في بعض الغرف مزركشة ، وثمة صدى لوقع اقدامنا على بقايا الرمل هنا وهناك. وصديقي يتمتم : رائع رائع ، ما رأيك ، رائع ! وانا افكر في ضيق الغرف ، في عدد النوافذ ، في زواجي القريب، في صديقي، في المطر ، في الحاحه ، في خطيبتي ، في صاحب هذا البناء ، في مصنع الدخان ، في الأجر الذي عساه يطلبه ، وصديقي يتمتم : رائع ، رائع . فلما رأى صمتي ، اغتنم فرصة ابتعاد البواب ـ واحسبه قد ذهب يبول في مرحاض بيتي الجديد ـ وصاح :

ـ الأمر لا يحتاج الى تردد ـ انتظر حتى نرى كم يطلب اجراً.

ـ دائماً تعلق امورك على شرط ، هل أعجبك البيت ؟

وظهر البواب من جديد ، فصمتا وكأنهما منشغلان بشيء آخر .. ووقف البواب وقد عقد يديه أمامه كأنما ينتظر أمراً وكأنما لمح ما على وجهيهما من اشفاق وتهيب. وكان إحساسه باهميته في هذه اللحظة قد ازداد ، فتفرس فيهما لحظة واحدة ، لكنها ما كانت لتغيب عن انظارهما . وكانما شاب نظرته شيء من الريبة فيهما ، فمال عليهما وكانما يوشك ان يدلي بسر خطير وهمس:

ـ هل تنويان ان تؤجرا هذا المكان ؟

ـ نعم نحن نفكر في ذلك : ـ وهل ستؤجرانه معاً .

ـ بل سيؤجره واحد منا ، صديقي هذا .

ـ وكم يستطيع ان يدفع .

ـ بل كم يطلب صاحب هذا المسكن المنخفض المعتم الرطب .

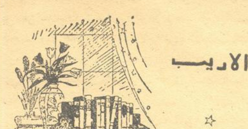
ـ اذا كان منخفضاً معتما رطباً ، فاتركاه وعودا بعد يومين لن تجدا غرفة واحدة خالية في هذا البناء كله .

ـ قلت لك كم يطلب ؟

ـ لست اعرف على وجه التحديد ، ولكنكما تجدانه الآن جالساً بمقهى الازهار بميدان الحرية. ويحسن ألا تقابلاه مباشرة فقالا في نفس واحد : ولماذا ؟

ـ لأنه من الخير ان يكون بينكما وبينه وسيط يؤجر لكما المسكن بأجر معتدل .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٩٢ ـ ٤٧ ـ ٩٢ / المنزل : ٣٧ ـ ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 }

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

ـ لكننا لا نعرف احداً من اصدقائه .

وجلس البواب على مقعده الخشبي ، خارج البوابة العظيمة ، تجاه السلم الرخامي . والساكنون الجدد يصعدون، والساكنون الجدد يهبطون ، وهو يرفع عينيه من حين لآخر ليتم حديثه ، وهما يصدقان كل كلمة مما يقول .

***

المقهى يحتل زاوية عند التقاء الميدان باحد الطرق المتفرعة عنه ، ومساحو الاحذية منتشرون على طول الرصيف يلتقطون الداخلين كلما لمحوا حذاء موحلا او شبه موحل . وكانت ابواب المقهى زجاجية ، قد طليت عوارضها الخشبية بطلاء حديث اصفر ، وعليها لافتات تحذر الداخلين من التلوث . فاقتربا من احد هذه الابواب يرقبان الجالسين .

كان رواد المقهى من سن واحدة تقريباً ، يكادون يرتدون زيا متماثلا ، كانهم تلاميذ في مدرسة ، وكان اكثرهم لا يسير باعتدال ، بعضهم يسير كأنما قدماه صناعيتان، وبعضهم يخب كانما له قدم اطول من الاخرى ، وبعضهم يفسح ما بين رجليه كانما به شيء من كساح او كانما هناك مسامير داخل حذائه . ورغم اختلاف السن واختلاف الزي بينهما وبينهم الا انهما شعرا انه من الواجب عليهما ان يعرجا قليلا في مشيتهما حتى لا يلفتا الانظار. اما القاعدون بالمقهى فكانوا يملكون اقداماً سليمة صحيحة ؛ وكان الرواد جميعهم ـ بلا استثناء ـ يلعبون الشطرنج ويحتسون القهوة ويدخنون . وكانما قد قسموا انفسهم الى فرق واعلنوا السباق ، كل يريد ان يصرع اخاه . كانوا منهمكين في اللعب ، وثمة صمت منتشر في المكان كانما هو رواسب حوار عميق وعظيم وغريب قائم بين كل اثنين قد اشتد التنافس بينهما . والداخلون يعرجون والخارجون يعرجون ، والخدم يذهبون والخدم يجيئون، وهما يتفرسان فيهم عساهما يختاران الشخص الذي يتوسمان حاجتهما فيه .

وكانا قد تسللا داخل المقهى ، ودنا من ناحيتهما خادم اسمر بيده كوب ماء ، فلما وضعه امام احد الجالسين وقفل راجعاً اقتربا منه ليستوقفاه ، وتفرس مؤمن في وجهه فاذا به نوبي ايضاً ، وعلى وجهه نفس الشكل الهندسي : خطان متوازيان غائران في وجنتيه . ورغم انهما كانا يعرجان قليلا في مشيتهما الا انه ادرك على الفور انهما غريبان ، وحين اخذ صلاح يسأله ، لمح مؤمن في عيني الرجل نفس البريق، بريق الاحساس بالاهمية،

كانما هو ليس مجرد خادم بينها وبين الرجل الذي يطلبانه. ولقد اخبرها ان « البك » كان موجوداً هنا منذ لحظات ، اما الآن فيبدو انه قد غادر المكان ، الا ان صديقه يونس بك لا يزال يجلس هنا ويعرف اين يمكن ان يكون ..

اذن فالرجل ليس هنا ، ويونس بك هنا ، ونهار كامل ، بل اسبوع آخر يوشك ان يضيع عبثاً ، وخطيبتي عناياتي تدفعني ، وصديقي صلاح يدفعني ، والفندق ذو الارانب يدفعني ، ورحلتي هذا النهار ، ووجودي في هذا المكان وخطواتي التالية ، كل ذلك لا يدع لي مجالا للاختيار ، فعلي اذن ان اواصل كفاحي اذن بقية النهار .

ودلها الخادم على رجل في نحو الاربعين من عمره ، رأسه تلمع وعويناته تلمع وبذلته السوداء تلمع وحذاؤه يلمع ، من رأسه الى قدميه .. كان ينبعث منه بريق كانما يبدو من خلال مرآة . وكان مهذباً للغاية ، فقد كان يضع ساقاً على ساق ، فلما رآهما انزل ساقه الى جانب الاخرى ، واذن لهما بالجلوس ، وسارع الخادم كي يقدم لهما شيئاً يحتسيانه. ولاحظ رقعة الشطرنج امامه، وكانت القطع السوداء في جانبه بينما اصطفت القطع البيضاء في الجانب الآخر . وكان يبدو من وضع القطع ان اللعب قد بدأ حديثاً. وقد ادرك مؤمن في الحال ما طرأ على فكر صديقه ؛ فصلاح يود لو يجلس امام يونس بك ويلاعبه الآن ، ولا بأس ان يستمر اللعب ساعة وساعات الى آخر النهار، عساهما يستطيعان ان يكسباه الى جانبهما ، فلماذا لا يكون يونس بك واسطة بينهما وبين صاحب المسكن ؟ وكان صلاح يجيد لعبة الشطرنج ، اما مؤمن فهو ما يزال يتعلم المشاركة في هذا اللون من الصراع .
وقد حدث ما توقعه مؤمن ، فان صديقه صلاح لم يفاتح يونس بك في المهمة التي اقبلا من اجلها ، بل كانما سعى اليه خصيصاً لكي يلاعبه الشطرنج ، ومضى يظهر له سعة معلوماته لكي يزيده رغبة في المناسبة ، ولكي يوضح له انه ـ رغم عدم اصابته بالعرج كاكثرية الباقين ـ الا انه لا يقل عنه في اللعب مهارة .
وكانما كانت كلمة الشطرنج هي كلمة السر بينهما ، فما لبث ان صاح فيه يونس قائلا : لقد جئت اذن في وقتك المناسب ايها الرجل ، فلقد غادرني صديقي منذ لحظات ، وكنت حائراً فيما يمكن ان افعله الآن .

وجلسا وجهاً لوجه ، وبدا التحمس على وجه صلاح ، واصر على ان يبدأ صف القطع من جديد بعكس يونس بك الذي كان يود لو يبدأ اللعب من حيث توقف ، وكان من المحتمل ان يطرأ على ذهن صلاح فكرة خبيثة ، ذلك الا يتحمس للعب كل هذا التحمس والا يخلص له كل هذا الاخلاص ، بل يقدم هزيمته للرجل على سبيل الرشوة ، لكنه في الواقع قد اندفع لا يتنبه لشيء من ذلك بينما كان مؤمن يرقب عقربي الساعة المثبتة في اعلا الحائط امامه ...

وفي الساعة الحادية عشرة كان قد مات اول بيدق ابيض ، وفي الحادية عشرة وثلاث دقائق مات اول بيدق اسود ، ولا بد ان كلا منهما قد ضحى ببيدق من عندة ليستر وراء ذلك هجوماً بعيداً . وفي الساعة الثانية عشرة الا خمس دقائق كان قد مات ثلاثة بيادق اخرى سوداء وثلاثة اخرى بيضاء ، وفي الساعة الواحدة والنصف مات رخ الملك الابيض وحصان الملك الاسود ، وفي الساعة الثانية تذكر مؤمن انه لم يتناول طعاماً من الصباح حتى تلك اللحظة ، وفي الساعة الثالثة والنصف كان رواد المقهى قد اخذوا ينصرفون ، وفي الرابعة كان الرذاذ يطرق زجاج المقهى في الخارج ثم انقطع في الرابعة وخمس دقائق ، وفي الخامسة كان فيل اسود قد مات ، وفي السادسة الا عشر دقائق قال يونس بك كسر الملك وفي السادسة تماماً كانت المعركة قد وصلت لحظتها الحاسمة وكانما لم يعد الصراع بين مجرد قطع سوداء وقطع بيضاء ، وفي السادسة وعشر دقائق مات رخ اسود ، وفي السابعة الا ربعاً كان مؤمن يجتر اشياء كثيرة عجيبة حول حياته وطفولته ورئيسه ومستقبله وفتاته ومسكنه ، افكار يعيدها مرة بعد اخرى بلا نهاية في دائرة مغلقة على نفسها كانما يقضم اظافره ، وفي السابعة الا خمس دقائق كان المقهى قد ازدحم بالرواد من جديد ، وفي السابعة تماماً قال صلاح : كسر الملك وفي السابعة والربع كان مؤمن يشرب فنجان القهوة السابع ويدخن السيجارة العشرين ، وفي السابعة والنصف الا سبع دقائق مات الوزير الابيض وبعدها بخمس دقائق مات الوزير الاسود مما بين انهما على نهاية هذا الصراع .
وفي السابعة والنصف تماماً لم يبق من القطع السوداء الا الملك واربعة بيادق بينما تبقى من القطع البيضاء بيدقان وحصانان ورخ والملك ، وبهذا اصبحت نهاية الملك الاسود معروفة ومحتومة فبعد ثلاث نقلات سيموت لا محالة ، وبهذا اصبح صراع الاسود مع الابيض انما هو صراع لا جدوى من ورائه

وبدا على الرجل انه لا يقبل الهزيمة ، وانه يود لو يبدأ

من جديد، وهما يحاولان إيجاد طريقة للخلاص، حين شاهدا يونس بك يرفع نظره نحو رجل مقبل ضخم الجثة يسير على مسندين، فلا بد ان ساقيه صناعيتان، ولما اصبح اكثر اقترابا وقف يونس بك باحترام شديد، مما اضطرهما ان يقفا معه – وبنفس الاحترام – بدورهما، واقبل الرجل الضخم محيياً يونس بك، وقدمهما اليه يونس بك بغير ان يقدمه لهما ولا ان يذكر اسمه فبيدو الرجل كأنه من الشهرة بحيث افترض فيها يونس بك انهما يعرفانه من قبل؛ وقد لمحا ساعته الذهبية وسلسلتها التي تهبط من جيب داخلي، وعرفا فيه صاحب المسكن الذي يطلبانه، وظل الرجل واقفاً بضع دقائق فظلوا واقفين ثلاثتهم، فلما جلس ومرت نحو نصف دقيقة اذن يونس بك لنفسه ان يجلس معه مؤمن وصلاح وهما يسمعانهما ينهمكان في الحديث: – وماذا قال محاميك ؟

– ليس امامه الا ان يرفع الامر الى القضاء.

– اذن فلم يترك الرجل المسكن ولا يريد مغادرة المكان

– بل لا يزال يصر ويرجو.

– آه قصة، زوجه واطفاله، والرصيف والسماء.

– وقصة المال الذي سيأتيه ولا يأتيه.

– والوسطاء الذين يرسلهم وراءك في كل زمان ومكان.

وهنا انحنى الرجل الضخم وهمس في اذن يونس بك

– وظنهما وسيطين.

– بل يريدانني وسيطاً بينك وبينها.

قالها يونس بك ضاحكاً، لكنه ما لبث ان دهش حين أخذنا نوضح الأمر. وكنا متحمسين للغاية، فلم يعد هناك مجال للخوف او الخجل. حدثه صديقي عن وظيفتي وحدثته عن مرتبي، حدثه عن اسمي وحدثته عن اسم خطيبتي، حدثه عن حبي وحدثته عن زواجي، حدثه عن الفندق الذي ترعى به الأرانب وحدثته عن اصدقائي واحلامي، والرجل يستمع الينا، وانا مدرك أنه قد يطردني ذات يوم من مسكني الذي لن املكه، حين يكون له زوجة واطفال ولا مأوى لهم بعد ذلك الا الرصيف والسماء.

– وكم تريد ان تدفع ؟

– خمسة جنيهات.

– بل سبعة جنيهات.

– ولكن هذا نصف مرتبي.

– ولكن المسكن سيظل خالياً ولن يؤجر لك بهذا الأجر

وفي الساعة الثامنة وخمس دقائق اعلن يونس بك انه يريد نفس هذا المكان مخزناً لبعض بضائعه. وعند ذلك فقط ادرك صلاح انه كأنما اخطأ باتصاره، وانه سلك الى نفسية هذا الرجل طريقاً عكسياً فابعده عنه بقدر ما كان يريد ان يقربه اليه.

وبينما هما خارجان، التفت صلاح نحو مؤمن وقال هازئاً:

– لقد بدا عليه الغضب كأنما اخطأت باتصاري كأنما ليس من حقي ان انتصر.

***

ولقد هبط المساء الآن، والسماء توشك ان تمطر من جديد وعليك يا مؤمن ان تعود الى الفندق، حيث تحس كأنما أنت قادم من سفر وكأنما انت على أهبة سفر جديد، ستعد زجاجات الغازوزة المقلوبة، وترى صاحب الفندق وهو ما يزال يبصق ومن حوله الأرانب تقفز. وستدخل غرفتك وتضيء النور لتشم بقايا رائحة الدجاج وترى من عساه يشاركك غرفتك هذه الليلة، ثم تجمعكما الغربة والوحشة والظلمة وتحصل على اعتراف جديد.

بل ستعترف انت الليلة لزميلك الجديد، ستروي له كيف كافحت حتى اصبحت كاتباً بمصنع الدخان، وكيف كافحت حتى تعرفت على عنايات وخطبتها الى نفسك، ثم تخبره ان لا بيت لك قل له ان بيتك في المقهى، وفي الطرقات، وفي سينما المدينة حيث يعرضون عليك منازل فخمة، وبيوتاً واسعة رحبة، ذات حدائق وذات اثاث بلوري، لها غرف كثيرة، كثيرة جداً، وابواب ونوافذ، وفيها اطفال وفيها حفلات. قل له انهم يهدمون في المدينة كل منزل منخفض، ويخططون كل ارض فضاء، ثم ترتفع منازل ضخمة عالية رائعة الهندسة متعددة الحجرات كقصور التيه، ذات نوافذ كثيرة وشرفات كثيرة، وابواب مغلقة كلها في وجهك.

فاذا جن الصباح ستذهب الى عملك حيث تلتقي بصديقك صلاح، ثم تنحني ظهراً على منزل خطيبتك حيث دعتك لتناول الغداء. لا تنتظر هذه المرة للاسبوع المقبل، فلتواصل بحثك غداً وبعد غد وبعد بعد غد. اغتنم كل فرصة وكل دقيقة، اقرأ اعلانات الجرائد جميعها وسر بطرقات المدينة جميعها، واسال من تعرفه وتعرف على من لا تعرفه، واجمع حولك كل من لا بيت له. فانت بطل من ابطال هذا القرن، لأنك استطعت الحصول على وظيفة، والحصول على حب، ولا بد لك – وللآخرين – من الحصول على بيت.

القاهرة **يوسف الشاروني**

حيرة !!

للامير عبدالله بن فيصل آل سعود

مكة

كلما لاح رضاك في التـداني
خلتني اني فتـاك اتـراني .. ؟
خبريني وهـواك عن مكـاني

***

كلما أرجود ياليلاي منك لفظة تمحو خيالاتي وشكي
اسكبي في مسمعي الحان حبك
واكشفي لي لحظة مكنون قلبك
لا تطيلي حـيرة الصب بربك
فلعـل القلب ان يهنـا بقربـك

***

لو علمت مـا الاقي في غرامي
من سهـاد واشتيـاق وسقـام
وجوى في الصدر باق كالـضرام
كل إلف قد تهنى وغرامه
غير قلبي لم يزل يشكو هيامه

***

يا ترى هل آن ان ينعم بالي
بعد ما لاقيت في تلك الليالي
من صـدود وجفـاء ودلال
ام ترى الآتي كايامي الخوالي ؟

***

كلما لاح رضاك في التـداني
خلتني اني فتـاك اتراني .. ؟
خـبريـني وهـواك عن مكاني ؟

تربية الجيل الجديد

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي في علم النفس

قامت طرق مختلفة في التربية على اتجاهات مختلفة في الفلسفة ، اذ لا يمكن لتربية ما ان تؤدي الى هدف معين ، ان لم تكن قائمة على فلسفة محددة . فالتربية هي خطوة الامة ، ولا بد لمن يخطو ان يحدد الغاية والناحية التي يريد ان يخطو اليها (يجب ان نسير ولكن يجب ان نعرف الى اين Il faut marcher mais savoir où) . ولكن مشكلتنا في الشرق هي عدم معرفة موضع الخطو وعدم تحديد الغاية التي نسير اليها ، فكل منا يسير في ناحية ، فالبعض يجري الى الامام والبعض الاخر الى الخلف . وهناك قوم واقفون ويعتقدون انهم يسيرون ، وقوم يسيرون في كل النواحي ويتيهون في الليل ليهدموا بالنهار عندما تصل اليهم بعض الاشعة تضيء لهم ميدان عملهم فيشعرون بالاخطار التي ارتكبوها في الظلام .

مشكلتنا في الشرق هي التربية . فنحن لا ندري هل نريد من مدارسنا ان تخرج لنا معلمين ام علماء ، موظفين ام تجاراً في صفة مثقفين ؟!

ان شئت الصدق وقول الحق فان مدارسنا تخرج لنا كل هؤلاء ، فهي تخرج لنا اشباحا ملتصقة بها هذه الصفات ، لا شخصيات تتمثل فيها هذه الصفات ومطبوعة وموسومة بالطابع الذي خلقت من اجله . لهذا نجد تشابها غريباً بين افراد كل صنف كأن الاشخاص خلقت لتتخذ صفات معروفة من قبل ، كلبوس يلبسه من شاء ويتركه من يشاء ليدخل في غيره . وبديهي ان يشمل هذا الاضطراب في التربية كل نواحي نشاطنا ، السياسية والاقتصادية حتى هدد الخطر وحدتنا القومية فارتخت الروابط الاجتماعية بين الافراد . وتلاشي الروابط الاجتماعية سبب رئيسي لجهلنا بكياننا القومي من كل نواحيه

درس بعض العلماء الروابط الاجتماعية ، فوجدوا ان تطورها يتأثر بتطور الحضارة ، ويتناسب تناسباً عكسياً معها . فالروابط الاجتماعية في قبيلة اقوى منها في امة وقد لاحظ بير جانيه P. Janet عن حق في مقالاته La psychologie de la croyance ان الدين كان الوسيلة ، للمحافظة على الروابط الاجتماعية في الامة . اذ ان اكبر خدمة قدمتها فكرة الوحدانية ، هي توحيد القضاء بين قبائل كانت تتطاحن وتتحارب فصارت تتضامن وتتعاون . وجاء الدين بفكرة الاخوة وقال برابطة جديدة اوسع من رابطة الدم . وقد كان لفكرة الاخوة هذه دور هام ، في خلق الامة .

واثبت العلماء ان نجاح الاديان في العصور السالفة راجع الى استناده الى حاجات نفسية نجدها في كل شخص . وهنا تظهر قيمة برجسون في قوله ان الانسان يخلق عقائده كما يخلق افكاره واعماله . ولا شك ان الدين عوض عن النقص الذي بالانسان . وقد ظهرت هذه الفكرة بشكل غير واضح عند ديكارت في كلامه عن الخطأ . كما ذكرها Brochard بتوسع في رسالة الخطأ ١٨٧٩ .

ويعتقد P. Janet ان الدين جاء ليعوض نقصاً في الحب وقد درس Marcel Herbert العلاقة بين الدين والحب . الحب والحب دائماً ونوع واحد من الحب . وقال M.RECEJAC ان الحب عند رجل الدين هو شيء في اعمق اعماق نفسنا وهو اساس الكائن . وقد لاحظ P. Janet نفسه على Madelain الصوفية التي درسها عن قرب انها كانت تنادي باستمرار : احب ، احب ، احب ، وانا محبوبة ، محبوبة ، محبوبة .

وهكذا نصل الى الفكرة القيمة التي قال بها W. Hortoy في مقاله Origin and psychological function of religion 1922

والتي خطت بهذه الافكار الفلسفية خطوة واسعة نحو التربية. فقد قال : انه من الضروري للحياة ان يقام توازن في ميزانية قوانا النفسية : ويحتاج الناس الى تنبيهات والى انواع خاصة من السلوك تؤدي الى اشباع القوة وبعثها النشاط في كل الجسم . فالناس يبحثون بحماسة بجانب بحثهم عن الغذاء والكحول والمخدرات عن التنبيهات الاجتماعية او الذهنية . فان الرعاية التي يقدمها لنا الآخرون . وتعبيرات الطاعة . وانواع الثناء والمدح على اختلاف انواعها ، تلعب دوراً هاماً في رفع التوتر النفسي ، وخصوصاً الاشخاص المصابين بشيء من الهبوط ، فانهم يبحثون بلهف عما يقوي توترهم النفسي . فهذه هي النقطة الاساسية لكل انواع الحب ، لان الحب سرور وتنبيه نفسي ناشيء عن فكرة الارتباط بحي آخر فرح بالوجود في الغير .

وقد يكون من الصعب علينا ان نجد رجلا قادراً على ان يقوم بهذا الدور وان يحقق لنا بلباقة كل هذه التنبيهات الطبيعية والاخلاقية . ويجب علينا ان نقنع هذا الشخص جيداً بما نريد منه « وما اشق ان اجعل الناس يفهمونني » ويجب الاحتفاظ كذلك بالصديق ، وارجاعه ان بدا منه ابتعاد ، وذلك باشعاره اننا نستطيع ان نقدم خدمات مقابل ما يقدمه لنا ، اذ لا شيء في الحياة الاجتماعية دون مقابل . وهذه نقطة تلعب دوراً هاماً ، بل هي نقطة البدء لكل التسلطات الفكرية ، وهذان الحب . فانسان ما يريد ان يكون محبوباً مقابل خدمات اداها في زمان مضى ولا يستطيع تقديمها من جديد . ويريد ان يكون محبوباً من اجل صفات طبيعية موهوبة له ولا تتطلب منه اي مجهود . اي يريد « ان يكون محبوباً لذاته » ولكن هذا شيء صعب التحقيق

ولا شك ان فكرة الغيبية قد قدمت خدمات كبيرة للاجيال الماضية وكانت المحرك الاساسي لانواع كثيرة من النشاط . فكان الشخص يقر بدافع عاطفي يحركه ليقوم باشد الاعمال واصعبها غير شاعر بالتعب ، وزاهداً في الاجر الرخيص وقد

ادى ذلك الى تلاشي حقوق الافراد في سبيل المجموعة فكانت الامة متماسكة الافراد وكان الفرد يعيش للامة . والعالم اليوم امام خطر تركته فكرة الغيبية. ولا شك ان الجيل الجديد سيكون معرضاً الى تفكك شنيع .

ولقد حاول الغرب حل هذه المشكلة ، بخلق مبادىء حيوية ، وهي المبادىء الاجتماعية ، والحزبية .

***

اما في بلادنا فلا تزال هذه المشكلة قائمة وما زلنا حائرين لا ندري لها حلا . ويترتب حلها على الوجهة التي يختارها لجيلنا الجديد . .

فاذا كان الدين رمز الحب الخفي وتحول للشعور نحو الصلة الطبيعية التي تربط بين الافراد . فعلينا ان نرعى هذه النزعة وان ننميها وننظمها .

ان النقاد قديماً وحديثاً قد اخطأوا فهم غاية ديدرو Diderot من ندائه الى اطلاق العنان للعاطفة ، وقوله بقانونية الانفعالات القوية . ولقد كانت فكرة التقدم في الادب ، عنده ، متمشية مع فكرة حرية التعبير عن العواطف لان ذلك يحقق لنا الغاية الحقيقية من الادب وهي النشاط الداخلي وتقوية الحركة النفسية . وبتقوية الحركة النفسية تخلق في الشخص انواعاً جديدة من الاهتمام كما توسع دائرة الانتباه وتقوي الاسس الاولى للادارة لتقوم عليها شخصية منسجمة سليمة . والواقع ان حاجتنا الى مقدار من العاطفة يربط بين افراد الامة عامة وبين المثقفين والشعب خاصة . اي اننا في حاجة الى فئة من الناس تجمع بين الايمان والمعرفة .

ويجب ان يكون الايمان هو الغاية التي يرمي اليها المربي المخلص في الامة التي تريد ان تنهض . ويجب ان يكون ايجاد اشخاص يعلمون ان لهم رسالة يؤدونها لانهم هو الغرض الاسمى . فتعويد الانسان ان يعمل ما يؤمن به فقط يحول دونه ان يكون دجالا محتالا او مفترا مخدوعا . والايمان يجعل الشخص قادراً على تحمل اعباء الجهاد وهو الضامن لتأدية الرسالة .

ولا يمكن لشخص ما ان يحافظ على شعوره بالايمان مدة طويلة ، الا إذا عرف اعماق شخصيته ، واختبر عواطفه وقوة انفعالاته . ولا يكون هذا الا بالحب الراقي القائم على التجاوب الفكري العاطفي بين الفرد والامة .

القاهرة

ابو مدين الشافعي

النار المقدسة

ليوسف محمد رضا



حدثوني ان هناك باباً واحداً
استطيع اذا ما اجتزته
ان ادخل الى غرفة نفسي .

***

قرعت الباب وانتظرت
وكان انتظاري رهيباً
في ظلام عميق مدلهم
فقد غمرني السكون
وسيطرت علي كآبة
كآبة الانتظار الطويل
اقلقتني كثيراً ..
وكم كانت دهشتي عظيمة
حينما فتح الباب
وبدت لي ثلاث فتيات عاريات
يحملن ثلاثة مصابيح ذهبية
رحن يتقدمن في سراديب مظلمة
ويقدنني الى عوالم مجهولة
دون ان يتفوهن بكلمة .
ورايتني اغذي السير حثيثا
متاثرا خطواتهن
دون وعي او ادراك
فقد تملكتني غيبوبة نشوى
سرت في نفسي الملحاح
فكانت سويعة عشتها حالما .
بعد قليل وجدتني عند غرفة
غرفة واسعة جداً
لا يدرك مداها البصر
يتوسطها نهر عظيم
تتدفق مياهه حول مقبرة
تعج بالارماس البشرية
وفيما ادخل الغرفة
اختفت الفتيات الثلاث العاريات
ولم ادر اين ذهبن .
وعند العتبة وقفت مذهولا
فقد استرعى انتباهي

سبعة اجساد ملطخة بالدم
تتارجح في الفضاء الواسع
تنهشها سبع افاع بنهم غريب
كانها لم تذق الطعام منذ اجيال
ومن بعيد .. وراء الجبل العالي
سمعت اجراساً تدق
تدق بعنف شديد
وتحدث دوياً عالياً
كدوي الدوار الهادر
في يوم ريحه صرصر عاتية .
« قف ايها الانسان المعبود
فالنار المقدسة قد خمدت
وعبادها هم اولئك الضحايا
التي تنهشها الافاعي
ولن تستطيع احياءها
الا اذا سرت في طريق الله
على محاذاة جبل النار
لتقتل في ضميرك الافعى الرقطاء »
كان ذلك الصوت الدوي
صوت الفتيات الثلاث العاريات

***

حدثوني ان هناك باباً واحداً
استطيع اذا ما اجتزته
ان ادخل الى غرفة نفسي .

***

لقد كان البلبل يشدو
يوم كانت النيران مندلعة
على جبل النار المقدس
وكان الوجود بسام الثغر
حينما كان الشيطان يحتضر
ويموت متحسراً متحيراً .
ولكن .. ما للطبيعة الان غضبى
وكانها تنذر بيوم مشؤوم
فلا اغرودة ولا ابتسام
حتى ولا هينمة ؟؟
لقد هربت ابنة الطبيعة
من وكرها الدافىء
وحقدت على امها حقداً مريراً
حين تزوج البحر من العاصفة
وهكذا لاذت بالفرار
بعد ان خلفت صغارها في الجحر
وذهبت لتخمد النار من جديد
لتنتقم لقلبها من البحر .
ولكن اللعينة عرفت بدنوي
وعرفت انني ساقتلها
لاريح الوجود من شرها
فقد اخبرها بذلك عشيقها الشيطان
ووسوس في صدرها
ان تنسل مني هاربة
لتمعن في غوايتها واثمها ..
واني لي اللحاق بها
ما دامت غرفة نفسي واسعة
ملاى بالصخور والحنايا
ومتشعبة بالمزالق والفجوات .
ولن استطيع النيل منها
فقد خباها الشيطان
في فجوة بعيدة الغور
لانها انقذته من الموت
حين هدته الى طريق جهنم .
وهكذا عرضتني لغضب امها
وتركتني حائراً في الظلام
اتخبط في دياجيره .

« لقد ماتت الافعى ايها الانسان
وما قاتلها الا عشيقها الشيطان
اذ خنقها في ضميره غيرة منه
لانها احبت البحر منذ عرفته .
النار المقدسة في اضطرام
يتآكلها الوجود وتسعرها الشهوة .
سرابها المعبود على محاذاة الجبل
فهناك ستجد الافاعي السبع ميتة
فقد افترسها عباد النار
انتقاماً لوجودهم ومصيرهم .
وعند سفح الجبل العالي
ستصادف الشيطان يحتضر
ويموت منتحراً متحسراً الى الابد »
كان ذلك الصوت الدوي
صوت الفتيات الثلاث العاريات .

***

حدثوني ان هناك باباً واحداً
استطيع اذا ما اجتزته
ان ادخل الى غرفة نفسي .

●

قالت الفتيات الثلاث العاريات :
لقد خلقناك ايها المعبود المقدس

لنمجد فيك قدسيتنا وطهارتنا
ونحن نحاول الآن ان نبدع فيما خلقنا
لنصل بابداعنا الى ارقى درجات السمو
وندرك بوجودك حقائقنا الضائعة
منذ اجيال في اعالي جبل النار .
لقد وجدنا انفسنا في اشد الحاجة
لان نعرف سر وجودنا من وجودك
فهديتنا الى اللغز المستعصي
دون ان تدرك ذلك
وعلمتنا كيف نمجد القوة في شخصك
القوة الهائلة الجبارة بخوارقها
القوة التي هي اعظم شيء في الحياة .
والتي هي اعظم من وجودنا وجمالنا
ولكننا نريد ان نطهرك من الالم
ونطفىء في قلبك جذوة الشهوة
شهوة الحياة وشهوة الموت
لنطهر بذلك انسانيتنا من الشر
ونطفىء هذا الحقد وهذا الهيام
الذي عاقرته نفوسنا منذ وجدنا
وفقدنا قوتنا في حقيقتنا
لقد خلقناك على صورتنا
وسكبنا فيك كل ما يختلج فينا
من قوة وجمال وفضيلة
واعطيناك مفاتيح الخير والشر
واحتفظنا بالمعرفة لانفسنا
لنميز فيك ما يعترينا من غموض .
ولكنك ايها الانسان المعبود
سرقت منا ما احتفظناه لانفسنا
وحرمتنا بذلك ما نتميز به عنك
ولم تكتف بذلك
بل رحت تحطم ما بنيناه لخيرك
لتجعل من احراشنا قبوراً لضحاياك
ومكامن لشرورك وآثامك .
لا ريب انك تحب الحياة
وليس سبب ذلك لانك تعودت الحياة
بل السبب في انك تعودت حب الحياة .
ان في الحب شيئاً من الجنون
ولكن في الجنون شيئاً من العظمة .
ونحن نمجد فيك عظمتك وفضيلتك
لانها عظمتنا وفضيلتنا
المستقرة في حنايا ضمائرنا .
وما جبل النار الا بركان ثائر
يتغذى من حقائقنا المجهولة
التي اضعناها حينما خلقناك .
ولن نستطيع استرجاع ما فقدناه
الا اذا خمدنا جذوة الشر
المستقرة في اعماق الجبل
يتآكلها الوجد وتسعرها الشهوة .
لقد ماتت الافعى مختنقة بالحسرات
ومات كذلك الشيطان رب النار
وامست حقائقنا تنتظر من ينقذها
ولن نستطيع انقاذها من الاعماق
اذ سرقت منا النار اللاإلهية
فاجنحتنا الواهية لن تقوى العلاء
وقلوبنا العليلة لن تستطيع الانشاد
وعيوننا العشواء لن تتحمل وهج الشمس
ما دمنا مفتقرات الى المعرفة .
فباسم القوة التي خلقناك منها
ندعوك ايها المعبود المقدس
ان تنقذ حقائقنا المتألمة
لانك تنقذ بذلك انسانيتك من الدمار
باسم النار اللاإلهية وباسم عظمتك
نستحلفك بان تسير في طريق الله
اي وجدانك الحي
تسير بنوره عبر الظلمات الدامسة .

●

حدثوني ان هناك باباً واحداً
استطيع اذا ما اجتزته
ان ادخل الى غرفة نفسي .

باريس — **يوسف محمد رضا**

ابنها الثاني

بقلم الآنسة سميرة عزام

قصة

قالت وقد ابصرت زوجها* منحنياً على فراشها ممسكا يدها بكلتا يديه

ـ سالم، سنطلق على ابننا اسم ابيك، هل يسرك هذا؟

وربت على خدها بحنان وقال ـ « بالطبع »

واغمضت اميرة عينيها من جديد وقد داخلها شعور بالارتياح لعل مصدره هذا العزم الذي قصدت من ورائه بعض التكفير.

ولكن رباه هل اخطأت فعلا في حق هذا الزوج؟ انها لا يمكن ان تلصق بنفسها هذه التهمة ثم انها في الوقت ذاته لا تستطيع الزعم بانها كانت مرتاحة الضمير تجاه حماقة بدرت منها. كان ذلك حين وضعت مولودها البكر قبل اعوام ثلاثة ولكن ما لنا نبدأ قصتنا من حيث يجب ان تنتهي؟

***

ما كانت اميرة تنتظر وهي وحيدة والدها وامله الاوحد ان يجابهها بعناده وان يتحكم في عواطفها مملياً عليها ارادته بشكل لم تستطع معه انفكاكا. كانت في السابعة عشرة من عمرها حين عرفت « اكرم » طالباً من طلاب المعهد العسكري وكانت احدى اللواتي استهوتهن في طلبة المعهد اجسامهم القوية المشوقة ووجوههم الملوحة بسمرة محببة وثيابهم الرسمية المزركشة.

عرفته عن طريق شقيقته « حسنية » صديقتها الاثيرة وزميلتها في الدراسة.

كانتا تشربان الشاي مرة في شرفة بيت حسنية فدخل اكرم مسلما ثم جلس قبالتها متاملا معجباً وابتسم وهو يقول لشقيقته « انك تحسنين اختيار صديقاتك يا اخت فكلهن فاتنات. »

وتضرج وجه اميرة وهو يردف « ولكنني اعترف بان انستي اكثرهن فتنة». ولم يلبث ان قام وشد على يدها بقوة وقال « ارجو ان اراك دائماً في زيارتنا » ولم يكن باكرم حاجة لان يرجو اذ باتت هي الاخرى ترتقب مواعيد زياراتها لحسنية وترتاح جداً لمجالسته إياها فتروح تختلس النظر الى قسماته الواضحة وعينيه الخضراوين.

قال لها مرة وهو يدور بها على نغمات التانجو «انني احبك يا اميرة، صدقيني».

* اذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية.

ولم ينتظر ان يسمع تعقيباً على عبارته اذ قرأ ذلك في عينيها الناطقتين حباً وتجاوباً.

***

وقبلتها شقيقته بعد شهر من هذا الحادث مهنئة اياها بنجاحها في الامتحان النهائي الذي اختتمت به حياتها الدراسية وقالت هامسة ترى هل يمانع والدك فيما لو تقدم اكرم خاطباً اياك؟ تعلمين بانه كان على راس فوج المتخرجين وسيعين في القريب بوظيفة عسكرية وبراتب لا باس به واهم من هذا كله انك تدركين مدى شغفه بك. ثقي بانك ستكونين معه اسعد الزوجات.

واجابتها أميرة وقد تملكتها هزة سرور وانفعال «ليفعل» لا اظن ان ثمة معارضة ستبدر من والدي. ان رغبتي الشخصية مقدسة عنده ابداً. وتركت حسنية لتعيش على حلمها الجميل اياما الى ان استدعاها ابوها ذات ليلة وقال ـ تعالي يا اميرة نضحك سويا لقد جاءك « اكرم السعداوي» خاطباً يزكيه جماله وطوله الفارع وجيبه الخاوي ها ها. هل يظن هذا العبيط انى ادفع بوحيدتي الى ضابط يزهو باشرطة ملونة ويدق حذاء بحذاء ويقف منتصباً كالرمح كلما مر به رئيس او مسئول.

وفوجئت الفتاة بهذه اللهجة التهكمية الحامضة وشعرت بالدم يتصاعد حاراً الى وجنتيها واستدارت تريد الانصراف ولكن والدها ناداها قائلا:

ماذا ايتها العروس؟ ألم يعجبك كلامي؟ اراك لم تضحكي مثلي ليس في الامر ما يضحك. وسحبها والدها من يدها يود اجلاسها بقربه ولكنها انفلتت منه فنظر اليها دهشاً وقال ـ هل آلم صغيرتي ان اسخر بفاتحة خطابها.

ـ هلا كففت يا والدي عن ضحكك هذا

ـ اهو امر!

ـ بل رجاء. ـ ولم الرجاء؟

ـ انني معجبة بالفتى.

ـ هكذا؟

ـ وكنت اعلم من شقيقته مقدماً بانه سيتقدم لخطبتي.

ـ اذا فانت تجدين.

ـ ولم لا ؟ ـ ودفعت به بعد موافقتك الشخصية الى والدك لاستكمال ما اصطلح عليه الناس من تقاليد ها ؟ انني .....

ـ ماذا قولي ... هل تحسبينني واحداً من اولئك الاباء « الطراطير » ان لي الكلمة الاولى في تقرير اي شيء، هنا .. انك ابنتي .. وانا مسؤول عنك ، افاهمة ؟ والان انصرفي ولا تدعيني اري وجهك الا بعد ان تنزعي من رأسك هذه الخيالات الصبيانية ... الا لعنة الله على حرية افسدتكن واماتت فيكن الحياء وانصرفت اميرة من لدنه لتحبس نفسها في غرفتها وتبلل مخدتها بسخاء . كان البكاء هو الشيء الوحيد الذي تستطيعه انثى ضعيفة . وللمرة الاولى في حياتها شعرت بان والدها لم يغنها قط عن ام تفهمها وتحبها وتساندها في موقف كهذا . وبات هذا الوالد الحنون في نظرها عاتية جباراً اذ سخر بعاطفتها واوهامها لقد تكهنت بمدى الاهانة التي لحقت اكرم من امساك شقيقته عن زيارتها وانقطاع مكالماته الهاتفية التي كانت تصل بين نفسيهما في اوقات يتفقان عليها ...

طلبت هي رقمه . فما لبث صوته ان وافاها حزيناً اجش من هذه ؟ « اميرة » ؟ ارجو ان تتناسي ما بيننا فلست بالنسبة لكم سوى كمية حقيرة او هذا ما تفوه به والدك الاجل ...

انه يبغي لك اميراً من الامراء لا ضابطاً خاوي الوفاض . ثم وضع سماعة الهاتف دون ان يتيح لها الفرصة وانطوت اميرة على جرح قلبها تاسوه وضاقت تشعر بان هوة سحيقة قد فغرت فاها بينها و بين ابيها فحالت بينهما وباعدت بين مشاعرهما الى ان داهم الكهل مرض الزمه الفراش فحرك مرضه عاطفتها القديمة وكان طبيعياً ان تلازمه وان تعني بتمريضه فراح الاب يصلح ما افسد ويجلو جوها الغائم . مسح مرة على شعرهـا طويلا وقال « اميرة » الا زلت عاتبة ؟ واطرقت ولم تجب فرفع رأسه عن المخدة وقال اسمعي ثقي بانني ابغي لك من الخير اقصاه ومن السعادة اوفرها . سيعود سالم من امريكا في غضون شهرين مهندساً مرموق المكانة ولا اخالك يا ابنتي ستوفقين الى من هو افضل من سالم . ثم انه ابن اخي وقد قطعت على نفسي عهداً قبل وفاة ابيه بان ازوجكما فتؤول اليكما املاكنا وتعمر بكما الدار من جديد ... ماذا ؟ اتبكين ؟ اسفاً ام سعادة قولي بانك سعيدة يا اميرتي ... ان عقولكن الصغيرة تجهل قراءة خطوط الخير يا ابنتي انني اود ان اموت وانا مطمئن الى مصير فتاة كانت في دنياي كل دنياي .

وتزوجت صاحبتنا سالماً تماما كما شاء ابوها وتمنى عمها وطمع ابنه . وهنا يحسن بنا ان نكون منصفين فنقول بان سالما كان لها نعم الزوج العطوف المثالي ولكنها كانت لا تني عن التفكير في ذلك الآخر الذي جرح والدها كبرياءه وطرده من حياتها بعبارة واحدة جافية فظل في قلبها اثر من حقد وحفنة من موجدة على والدها وزوجها معاً .

واثمر زواجها ثمرته الاولى واوشكت على الوضع وفي نفس الغرفة وعلى نفس السرير الذي يلفها باغطيته البيضاء اتيح لبكرها ان تكتحل بالنور عيناه وتصاب هي بحمى النفاس .

لا تدري كم من الايام طوت دون ان تعي شيئاً مما يدور حولها ولكنها في اول ايام ابلالها من الحمى احضرت لها الممرضة ابنها والقته بين ذراعيها فرف جفنا الصغير وتفتحت عيناه انفتاحة اتاحت لها ان تتبين لون عينيه وكان سالم يجلس الى قربها فهزت كتفه وقالت سأسمي صغيرنا اكرم .. وقبل ان يفتح الرجل فاه معارضاً او موافقاً راحت تهزه في رجاء وتتوسل في ان يسمح لها بان تطلق على ابنها الذي هو بضعة منها الاسم الذي تشاء فكان لها ما ارادت، اذ كان الزوج كريماً نبيلا وكانت حالتها الصحية اوهى من ان تحتمل النقاش. وهكذا تعزت « باكرم الصغير » وشعرت بانها قامت ببعض التضحية والتكفير ... وكبر اكرم ، حتى اذا صار له من العمر عامان انطلقت واباه به الى احد المحال الكبيرة تنتقي له بعض اللعب ، وهناك وللمرة الاولى

منذ فارقت اكرم التقت به اقبل عليها مسلماً فسارعت بتقديم زوجها اليه . وشغلتها فرحة اللقاء عن امساك يد الصغير. فتسلل يلهو في زوايا المكان فخشيت عليه من الضياع في زحمة الحانوت فراحت تهتف باسمه والتفت « اكرم الكبير » متعجبا فسارعت تقول :

ـ انه ابني .

هنا تالقت من الضابط العينان وابتسم ابتسامة فيها اكثر من معنى وهز على يدها مودعا وضاغطاً ثم صافح الزوج ناظراً اليه نظرة تحمل معنى الانتصار والتحدي وكانت طعنة في صميم كبرياء الزوج تركته يتقلب ليلة بطولها دون ان يعرف النوم الى عينيه سبيلا . بعدها بايام مرض الطفل بالحصبة ولم يحتمل جسمه الغض شراسة المرض فراح له ضحية وخلف امه ثائرة الضمير تلهو بها الاوهام في قسوة عابثة بضميرها عبثاً متصلا فلا تكاد تشفى من اوهامها لحظات الا لتثور هذه الاوهام وتعربد من جديد فترى في موت الصغير انتقاما من القدر وسخطاً من السماء وانتصاراً لزوج كان يتالم كلما رفعت صوتها تنادي الطفل . ويتجنب هو التفوه باسمه اذ كان يدعوه « الولد » كلما تعرض لذكره بحديث . وكان يعذبه ان يلمس بان حبه وعطفه ومسايرته فشلت جميعاً في حملها على نسيان ذلك « الاكرم » .

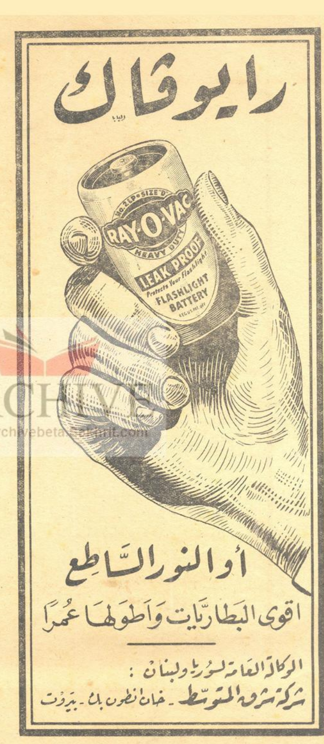
***

ها هي ذي في المستشفى من جديد وها هوذا الصغير الثاني بوجهه الاحمر المزرق يحاول جاهداً ان يفتح عينيه على الدنيا وتتحرك شفتاه وكانه يطالب باسم له اذ صار له كيان مستقل .

اجل ستمنحه امه اسماً .... كان لوالد زوجها من قبله .

وكفي بذلك مرضاة لسالم .... وانتصاراً لنفسها على اوهامها

ليماسول ـ قبرص — سميرة عزام



جمرة

« بين يدي صورتها »

**

شخّص في الصورة معنى الصبا ... ناظره ... وانكرته السنون

*

الم يزل مبسمها ضاحكاً ... كخاله يغري بشتى الفتون
وحمرة الورد على خدها ... ونضرة النرجس بين الجفون
ونطقها همساً كريح الصبا ... ونغمة البلبل فيما تبين

*

شخّص في الصورة معنى الصبا ... فطرفه يذرف دمعاً هتون
وكل دمع ثره لؤلؤ ... في صدف الشعر توارى ... مصون
وكاد من احساسه بالذي ... آل اليه الامر لا يستبين
فقال : « ما الحسن سوى جمرة ... خابية ... والحب الا جنون ! »

*

هوى على الصورة في لوعة ... لما رأى ان الاسى لا يعين
وقبل الثغر الذي كان في ... ريعانه كالورد بين الغصون
وعندما ادرك ان الذي ... قبّله .. لم يك غير الظنون
رمى بها ... ثم انثنى خاشعا ... على الذي حطمه باليمين
ليجمع الشتات من حسنها ... بين الشظايا لو بحز الوتين

البحرين ... ابراهيم العريض

طفلنا العزيز

دراسات في تحليل وتربية الطفل

بقلم سمير بولس التنداوى

ليسانسيه في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول

ايها الطفل العزيز ... يا من تفتحت عيناك بالامس القريب لتشهد عالماً جديداً ... ما احوجك الى يد تتعهدك ، وعين ترعاك ، وعطف يشملك وحكمة تنميك وتهديك . بل ما احوجك لمجتمع يدرك كنهك ، ويسبر غورك ويعلم حقيقة امرك .

ايها الطفل العزيز ... يا من خرجت الى دنيانا المعقدة الكثيرة الاوضار ، وانت اعزل من كل شيء الا بعض الامكانيات البسيطة ، ما احوجك الى من يمسك بيدك في هذه الحياة ويقودك الى طريقك القويم ، مرشداً اياك الى ما تجهل ومساعداً اياك فيما تفعل ، فيوليك من عطفه ، ويسبغ عليك من حبه ، ويمنحك قدراً طيباً من حنانه . ووالله ان كنت الى المعونة والارشاد محتاجا ، فانك الى العطف والحب والحنان لفي اشد حاجة .

ايها الطفل العزيز ... يا من كنت فكرة في ذهن ابويك تجسدت ونمت فاصبحت كائناً له حدوده ورسومه . ما احوجك الى ابوين يفهمان حق الابوة وواجباتها ، فيمدانك بما تحتاج اليه من غذاء مادي ومعنوي . ويهيئان لك سبيل النمو المتكامل فتنشأ انساناً قوياً خالياً من الاضطراب والانحراف .

***

نعم ما احوج طفلنا العزيز الى من يوليه تربية صحيحة قائمة على التجربة الناضجة والعلم الغزير ، والفهم الصحيح لمنحنيات نفسه . فحرمان الطفل من هذا النوع من التربية يؤدي في غالب الاحيان الى وقوعه فريسة لانحراف يصدعه او شذوذ يهدمه او عصاب يحطمه . ولست اغالي ان قلت معظم حالات العصاب النفسي والانحراف التي صادفناها ، كانت ترجع الى اخطاء حدثت من الابوين – او من يقوم مقامها – تجاه الابن . فاثرت فيه اثراً عظيما ، وظل هذا الاثر ينمو ويتوغل في اللاشعور حتى وقف عقبة في سبيل مسايرة النمو الوجداني للنمو الجسمي ، ونشأ عن ذلك قلق عظيم واضطراب كبير ادى الى شل ارادة الطفل وقعد به عن أداء اي مجهود وأورثه شعوراً بالذلة والمهانة وسلبه الثقة بالنفس والاعتداد بالذات ، وقد وصل الى درجة مساعدته على كره المجتمع ، وبغض الحياة بغضا يؤدي به غالباً الى غاية وخيمة ونتيجة أليمة ، فتنتهي حياته بالسجن او التشرد واحيانا بالانتحار .

ويتأثر الطفل بكل ما يشاهده في حياته المنزلية والخارجية . ويتفاعل مع ظروف البيئة الموجودة تفاعلا قويا يكون له نتائجه في حياته المستقبلة . وطفولة الانسان هي المحرك الذي يقوده من حيث لا يدري الى حياة سعيدة او قدر محتوم . فيجب على الآباء والمربين ان يحرصوا كل الحرص ويتجنبوا في افعالهم واقوالهم وحتى اشاراتهم كل ما يضر بالطفل ويؤذيه .

ولعل من ابشع ما يرتكبه الاباء في حق ابنائهم ، قيامهم بالفعل الجنسي امامهم . وقد يكون هذا عن جهل الاباء بما يحدثه هذا الفعل في سلوك ابنائهم من تاثير . وقد يكونون عالمين بما يترتب عليه من نتائج ولكنهم توانوا في الحيطة والحذر . فقد يحدث ان يظن الاباء ان طفلهم قد استسلم للنعاس ، فيطمئنون الى ذلك وينصرفون الى ما يريدون فعله ولكن قد يستيقظ الطفل فجاة وينتبه الى ما يفعلون . حينئذ يصور له ذهنه افكاراً غريبة . وللطفل منطق يخالف منطق البالغين . فهو اصغر من ان يدرك فهم معنى الحياة الزوجية والاتصال الجنسي بين والديه . وكل ما يعلمه الطفل هو ان امه ملك له وحده لا يجب ان يشاركه فيها اي انسان حتى ولو كان الاب . فيثور في نفسه شعوره

بالغيرة من الاب وتتولد عنده رغبة في الانتقام منه . وهذا ما يعرف بمركب اوديب - ولكنه غير قادر على اظهار هذا الشعور او حتى على التفكير فيه ، وتتلاشى الصورة التي رآها من ذاكرته وتتحول الى اللاشعور ويصاب بما يعرف « بانكار الواقع » كما تقول « انا فرويد »[1] اذ ان الطفل لا يستطيع ان يصمد امام حادثة خطيرة كهذه فيحاول ان يلاشيها من شعوره كما يحاول ان ينكر واقعة الاتصال الجنسي بين ابويه . ولكنه يعبر عن غضبه وعدم رضاه بسلوك مضطرب فيصبح الطفل « مشكلا » يكثر الصياح ويحطم الاثاث ويرفض القيام ببعض واجباته الاجتماعية ، فتضطرب عملية الاخراج ويبول على نفسه .. الخ

ولعل الحالة التالية توضح ما اريد ان اقوله[2]

اصطحب احد الآباء ابنه الى العيادة السيكولوجية . وكان يشكو من ثورته وهياجه وضربه لاخوته بقسوة لم يعتادوها منه . وقد اصبح الطفل في هذه الأيام ينام نوماً خفيفاً مضطرباً . وكان يصر على ان تكون حجرته مضاءة اثناء النوم فاذا انطفأ النور صرخ . واستيقظ من نومه وطلب ان ينام مع امه في سريرها . ولم يكن الطفل قبل ذلك الوقت يخشى الظلام او يطلب النوم مع امه .

وبتحليل الطفل وجد انه مصاب بشدة الحساسية Hypersensibility . ولما اعطى الطفل ورقة وقلما ليرسم ما يجول بخاطره[3] . رسم صورة امرأة تنام في سريرها ثم رسم سلماً يصعد عليه رجل آت من الخارج لينام بجوار المرأة . ثم صورة رجل ينام مع المرأة على نفس السرير والرجل ينظر الى المرأة وهي مغمضة عينيها تدعي النوم . وقد علمنا من الطفل انه قد سأل اباه مرة هذا السؤال « لماذا ينام الرجل بجوار المرأة ؟ »

ولا أطيل عليك في تفاصيل هذه الحالة وانما قصدت ان اخبرك ان اضطراب حالة الطفل راجعة لمشاهدة الاتصال الجنسي بين الابوين . فهو ينام معهما في غرفة واحدة . ويعلل سلوكه بانه يريد الانتقام من ابويه بالثورة والتحطيم ، ولكنه غير قادر على مواجهتهما مباشرة ولذلك يعكس سلوكه ناحية اخوته الصغار . وهو من ناحية اخرى لا يريد من الام ان تستسلم مرة ثانية لابيه فشدد الحراسة عليها وربط بين اطفاء النور وبين العملية الجنسية . فكان يثور ويصيح كلما اطفىء النور ويصر على النوم بجوار أمه ليحميها من غريمه - الا وهو الاب - وقد أثر اضطرابه من نومه واثر هذا بالتالي في حساسيته فاصبح مصاباً كما قلنا بشدة الحساسية فيتأثر من كل شيء ومن لا شيء ويثور لأتفه الاسباب ويصب غضبه وثورته على اخوته الصغار .

وهناك حالة اخرى لطفل كانت أمه تصطحبه معها الى الحمام المنزلي اثناء استحمامها وذلك خوفاً عليه من ان يصاب بشيء اثناء وجوده بمفرده في المنزل . فكانت تخلع ملابسها امامه . وقد اثر منظر اعضاء الام التناسلية في ابنها . ولعل اسطورة الميدوزا تفسر لنا ما حدث للطفل . فان اي طفل يرتعب من رؤية اعضاء امه التناسلية ولذلك فقد كان نتيجة سلوك الام هذا انحراف الطفل انحرافاً جنسياً . وعندما كبر وأصبح رجلا ناضجاً كان يخشى النساء ويقشعر لمجرد تصور الاعضاء التناسلية للانثى . واندفع لا شعوريا الى الميل لذات الجنس Homosexuality لارضاء غريزته الجنسية . وهكذا ترون مدى معاناة الابناء من سلوك آبائهم .

وهناك حالة ثالثة لرجل بلغ الثلاثين من عمره . تزوج من فتاة مثقفة على قدر متوسط من الجمال . تناسبه في الحالة الاجتماعية . ولكنه مع ذلك كان ينفر منها ولا يجد اي شعور باللذة من معاشرتها معاشرة الازواج . بل كان يصاب احيانا باضطراب وقلق اثناء الفعل الجنسي مما ينتج عنه زوال التوتر والتهيج الجنسي ، مما كان يسبب له ولزوجته شعورا بالضيق . هذا علما بانه كان قبل زواجه يقوم بالفعل الجنسي مع كثير من البغايا بنجاح .

وعند تحليله وجد ان امه بعد موت أبيه قد ارتكبت خيانة جنسية مع احد اقاربها وقد شاهدها هو وهي في هذا الوضع غير اللائق ، « وكان يومئذ في سن السادسة » ، فحاول الاختفاء ، ولم يجد في نفسه الشجاعة على مصارحتها وظلت هذه الصورة للام راسخة في لا شعور المريض حتى كبر وأراد

---

(١) أنا فرويد : علاج الطفل بالتحليل النفسي . ترجمة سمير بولس التنداوي . الفصل الخاص « بالعامل النوعي في نمو الأنا » . الناشر مطبعة الأنجلو المصرية .

(٢) هذه الحالة مأخوذة من حالات معهد التحليل النفسي للدكتور أبو مدين الشافعي .

(٣) طريقة التداعي الحر بالرسم هي احدى الطرق المستعملة في تحليل الأطفال وذلك لعجزهم عن التعبير عما يجول بخاطرهم بالألفاظ فقط . وقد ابتكرت لنا مسز ميلاني كلين طريقة « فن اللعب Play Technique » وقد كانت هذه الطريقة رغم فائدتها وجدواها موضع نقد ومناقشة من « أنا فرويد » في كتابها « علاج الطفل بالتحليل النفسي » .

الزواج . وهنا تبدأ مأساته او مأساة زوجته . فقد أسقط لا شعوريا صورة امه على زوجته . فكان يحقرها ويسيء اليها ويحاول ان ينتقم منها لما فعلته امه ، فانقف من معاشرتها معاشرة الازواج . وانتهت حالته الى ما ذكرنا .

ولا يقتصر تأثر الطفل بالناحية الشعورية فقط من سلوك الآباء . ولكنه يتاثر ويستجيب للجانب اللاشعوري من سلوكهم. وقد ذكرى لنا M. Sperling (١) ان رغبة الام تنتقل لا شعوريا الى طفلها فهو يستطيع ان يتبين ذلك من لهجة كلامها واسلوب حديثها ويستجيب للجانب اللاشعوري. وايدت كلامها بحالة طفلة بدأت فجاة تعامل عمتها وجدتها معاملة كره وقسوة رغم انها كانت تحبها لانها كانا يعطفان عليها . وبالتحليل ظهر ان هذا الشعور الطارىء قد نتج عن وجود الطفلة اثناء حديث تليفوني رأت فيه امها تخاطبها بلهجة تنم عن الكراهية وعدم الارتياح . ورغم ان معنى الكلمات التي قالتها الام لم يكن يدل على ذلك الا ان الطفلة استجابت للهجة الكلام اي للجانب اللاشعوري .

(1) International journal of Psychoanalysis : Children's Interpretation and Reaction to the Unconscious of their Mothers. Vol XXXI

وكثير من الآباء والامهات يسلكون سلوكا لا شعوريا ينم عن تفضيل ابن على آخر ، او طفل على طفلة ، فيحس الطفل هذا المسلك اللاشعوري ويستجيب له . فيشعر بمشاعر مختلفة تظل ملازمة له في كل تصرفاته حتى عند ما يكبر .

وقد يحدث ان تلحظ طفلة سلوكا لا شعوريا لدى امها تفضل فيه اخاها عليها . فتظل الطفلة متاثرة بهذا الشعور عندما تكبر وتتزوج وتصبح اما لها اولاد ، فتسقط على ابنتها صورة امها . فتصبح طفلتها لا شعوريا هي امها وتبدأ تنقم منها .

ومن الامثلة على حساسية الطفل وادراكه وملاحظته لما يدور حوله من اشياء قد لا تخطر على بال الناس هذا المثال الماخوذ من كتاب الدكتور ارثوس Dr. André Arthus(١) . فقد اورد قصة طفل كان ينتابه شعور عدواني نحو الاب . وحدث ان تغير سلوك الطفل تجاه ابيه فصار يحبه وسر الاب لهذا التحول واراد ان يسهر مع ابنه في احدى الليالي . فامسك احد الكتب المصورة يحتوي على رسوم لبعض الحيوانات . وقاوم الطفل الاطلاع على هذا الكتاب . وطلب اي كتاب آخر .ولما استفسر الاب منه عن سبب ذلك ، اخبره بعد تردد ، انه يخشى احدى الصور الموجودة . وكانت الصورة التي يخشاها الطفل هي صورة نوع من انواع الكلاب يشبه الذئب في شكله . وكان غريباً ان يخاف الطفل هذا الكلب دون سائر الحيوانات المفترسة الموجودة في الكتاب . وعندما سال الاب طفله عما يخيفه في هذه الصورة اشار الى عيني الكلب باصبع مرتعشة وقال «انك عندما تزجرني تصبح عيناك مثل هاتين العينين . »

واضح من ذلك ان الطفل يتاثر ويستجيب لسلوك الكبار المحيطين به ، فيجب علينا ان نراعي الدقة في حركاتنا والبساطة في حياتنا ، وان نتطهر في افكارنا من الحقد والكراهية ، بقدر الامكان . وقد حاولت في مقالتي هذه ان اذكر حالات مختلفة من شتى الميادين وتوسعت بعض الشيء في الناحية الجنسية واثرها وذلك لاننا ، كشرقيين نضع الناحية الجنسية في المحل الاول ثم لا نوليها بعد ذلك العناية المطلوبة والتربية الصحيحة . وارجو ان يكون مقالي هذا فاتحة سلسلة من المقالات في هذا الموضوع والسلام .

القاهرة **سمير بولس الشنداوي**

(1) Dr. André Arthus : The Uukuown World of the Child p. 25.

النفير

ملقى في التراب .
الرياح متعبة، والضياء قد مات
يا لليوم المشاوم !
تعالوا ايها المقاتلون حاملين راياتكم، ويا ايها المغنون باغانيكم الحربية ..
تعالوا ايها السائرون الى الحج ، المسرعون في رحلتكم ..
في التراب يرقد النفير .. منتظراً ايانا .
كنت في الطريق الى المعبد بقرابين المساء ، أبحث عن مكان ارتاح فيه بعد كد النهار المغبر . آملا أن تبرأ جراحي ، وان تغسل الاقدار من ردائي ، عندما وجدت نفيرك ملقى في التراب ..
أما كانت تلك هي ساعتي لكي اشعل مصباحي ؟ ألم يغن الليل تنويمته للنجوم ؟
ايه ! انها الوردة الحمراء ، كالدم ، لقد شحبت شقائق نومي وذوت !
كنت وثقت من ان تجوالي قد انتهى، وان ديوني كلها قد دفعت .. عندما عثرت بنفيرك وهو ملقى في التراب .
فلتسحر قلبي الوسنان بتعويذة الصبا ..
ولتجعل جذلي بالحياة يتاجج ناراً ..
ولتدع سهام اليقظة تتطاير في قلب الليل
ولتهز العجز والعمى رعشة الفزع ..
انني قد اتيت كي ارفع نفيرك من التراب
لا رقاد لي بعد اليوم ـ سأمشي في وابل من سهام .
لسوف يندفع البعض من بيوتهم ويقبلون الى جانبي ، وسيبكي البعض .
وسيتقلب البعض في سررهم ويئنون في احلامهم مفزعة . لأنه سينفخ في نفيرك الليلة !
سالت منك السلام، فلم الق الا العار .
امامك اقف الساعة ـ الا اعني على ان البس دروعي .
ولتلهب النار في حياتي ضربات من الكدر .
ولتجعل قلبي يدق متالما طبل انتصارك
ستكون يداي فارغتان حقاً كي تاخذا بنفيرك .

---

* القطع العشر الرابعة من كتابه جني الثمار

جني الثمار

لشاعر الانسانية رابندرانات طاغور

ترجمة : **اكرم الوتري**

•

عندما جنوا طربا ، فرفعوا التراب يلوثون به رداءك أيها الجميل ، أعل ذلك قلبي
صرخت اليك قائلا : «خذ بصولجان قصاصك ، واحكم بينهم .. »
على هذه العيون المحمرة من عربدة الليل .. ارتمى نور الصباح ، وحيى انفاسهم الملتهبة اريج والزنبقة البيضاء .. وتطلعت النجوم من اعماق الظلمة الالهية الى سكرهم .. الى هؤلاء الذين رفعوا التراب .. ليلوثوا به رداءك ايها الجميل !
إيه يا حبيبي، لقد كانوا قساة في شعورهم تسللوا في الظلام ليخطفوا حليك يزينون بها رغابهم ..
عندما ضربوك فتالمت ، طعنت في اعماقي ، فصرخت اليك اقول : « الا خذ سيفك يا حبيبي ، واحكم بينهم ! »
لكن عدلك كان يقظا ...
لقد سكبت على وقاحتهم دمعة ام، واخفى رماح تمردهم في جراحه إيمان محب لا يفنى .
كان حكمك في الالم الصامت للحب الساهر ، في خجلة العفيف ، في دموع المستوحش في الليل ، وفي غفران نور الصبح الشاحب .
إيه ايها الرهيب .. لقد تسلقوا بابك في الليل ، في جشعهم العجول ، مندفعين الى مخزنك كي يسرقوك ..
لكن ثقل اسلابهم اصبح عظيما ، أثقل من ان يحمل او ان يزحزح .
عندئذ صرخت اليك اقول : « الا فلتغفر لهم ، ايها الرهيب ! » ...
تفجر غفرانك في عواصف تلقي بهم الى الحضيض، وتبعثر اسلابهم في الثرى
كان غفرانك في الصواعق ، في وابل من دماء، وفي حمرة الغروب الغاضبة .

« أوبا غبتا » مريد بوذا يرقد على التراب عند سور مدينة « ماثورا » .
المصابيح كلها مطفأة ، والابواب كلها موصدة ، والنجوم كلها محجبة بسماء آب القاتمة .
ترى قدما من هاتان اللتان ترنان بالخلاخيل وتمسان صدره فجاة ؟
هب من رقاده مذعوراً ، فاذهل عينيه الغفورتين شعاع من مصباح امرأة
كانت هي الراقصة الفتاة ، منجمة بالجواهر ، مظلمة بدثار ازرق شاحب ، نشوى بجمر صباها .
انزلت مصباحها ، فرأت الوجه الفتي الجميل في عبوسه .
قالت المرأة : « عفواً ايها الشاب الناسك .. فلتتفضل الى بيتي ، فالارض المتربة ليست بالفراش اللائق بك . »
اجابها الناسك : «اذهبي في سبيلك ايتها المرأة، وسآتي اليك عندما يحين الوقت»
وعلى حين غرة كشر الليل القاتم عن انيابه في ومضة من بريق .
وزمجرت العاصفة من طرف السماء ، فارتجفت المرأة رعباً .
اغصان الشجر على جانبي الطريق تئن موجعة من ثقل الازهار .
واقبلت من بعيد انغام مرحة تطفو على نسيم الربيع الدافىء
كان كل من في المدينة قد مضى الى الغابات ، الى احتفال الازاهير .
واطل القمر من منتصف السماء على ظلال المدينة الصامتة .
كان الناسك الشاب يسير في الطريق المقفر ومن فوقه ترسل الازهار المريضة حباً من اغصان « المانكو » نواحها الذي لا ينام .
مر « اوبا غبتا » من ابواب المدينة، ووقف عند اسفل السور .
من هذه المرأة التي ترقد في ظل السور عند قدميه ، مبتلاة بالوباء الاسود،

مبقعة الجسد بالقروح، مطرودة من المدينة ؟
جلس الناسك الى جانبها ، واخذ رأسها على ركبتيه ، وبلل بالماء شفتيها ودهن بالبلسم جسدها .
سألته المرأة : «من انت ايها الرحوم ؟»
فاجاب الشاب الناسك : « لقد آن الوقت لزيارتك اخيراً .. وها أنذا . »

***

ليس هذا مجرد غزل بيني و بينك .. يا حبيبي . لقد اجتاحتني الليالي الصارخة العاصفة مرة بعد مرة، مطفئة مصباحي ... واجتمعت الشكوك السود مقتلعة النجوم كلها من سمائي .
لقد انهدمت السواحل مرة بعد مرة ، لتدع الفيض يجرف محاصيلي .. ومزق النواح والقنوط سمائي من اقصاها الى اقصاها ..
هذا ما تعلمت : ان في حبك ضربات من الالم .. وان ليس فيه جمود الموت البارد ابداً ..

***

الجدار ينغلق شطرين ، ويندفق النور كضحكة الهية ..
نصر ايها النور ! لقد طعن قلب الليل !
إبتر بسيفك اللامع عقدة الشك والأمنيات الواهنة شطرين .
نصر ! اقبل ايها العنيد !
تعال .. انت ، ايها المخيف في بياضك
إيه ايها النور .. طبلك يضج في مسلك النار .. وقد رفع المشعل الأحمر عالياً ، والموت يموت في اندفاعة بهاء !

***

ايتها النار ، يا اختي ، انا اغنيك النصر .
انت خيال الحرية المخيفة اللامع الأحمر
تلوحين بذراعيك في السماء ، وتجرفين باصابعك المتهورة وتر القيثار .. وموسيقاك الراقصة جميلة .
عندما تنتهي ايامي وتفتح الابواب .. ستحرقين هذه المجموعة من الأطراف حتى تصبح رماداً .

ولسوف يتحد بك جسدي ، ويحبس قلبي في دوامة جنونك ، وتومض الحرارة الملهبة التي كانت حياتي ، فتمزج نفسها في سعيرك .

***

لقد خرج الملاح في الليل يعبر البحر الهائج .
الصاري يئن من اشرعته الممتلئة الشديدة
السماء ترتمي على البحر مسمومة بالرعب الأسود ، اذ عضها الليل بنابه .
الامواج تلطم رأسها على الخفي المظلم ، والملاح قد خرج ليعبر البحر الهائج
لقد خرج الملاح ، لا ادري لاي موعد ليرعب الليل بيياض اشرعته المباغت .
لا ادري على اي ساحل سيرسو اخيراً ، ليصل الى الساحة الصامتة .. حيث يشتعل المصباح ، وليلقى التي تجلس على الثرى و تنتظر .
ترى اي امر هذا الذي جعل زورقه لا يابه للعاصفة ولا للظلام ؟
اتراه مثقل باللآلىء والجواهر ؟
آه ، كلا ... الملاح لا ياتي بالكنوز .
انه ياتي فحسب : بزهرة بيضاء في يديه، وباغنية على شفتيه .
انها لتلك التي تترقب في الظلام وحيدة في الليل مع مصباحها المشتعل .
هي تحيا في الكوخ على قارعة الطريق .
شعرها المهمل يتطاير في الريح ، ويحجب عينيها .
من وراء ابوابها المحطومة تصرخ العاصفة ، ويرتعش الضياء في مصباحها الطيني ، ملقياً بالظلال على الجدران .
ومن بين عويل الريح .. تسمعه ينادي باسمها هي .. ذات الاسم المجهول .
لقد مر زمن طويل منذ ابحر الملاح ..
وسيمر زمن طويل قبل ان ينغلق النهار ، فيقرع على الباب .
... لن تدق الطبول ، ولن يعلم احد ..
انما سيملأ القلب نور ، وسيصبح التراب مباركا والقلب سعيداً .

سوف تمحي كل الشكوك في سكون ، عندما ياتي الملاح الى الساحل .

***

انني اتعلق بجسدي ، هذا الطوف الحي ، في جدول ايامي الارضية الضيق واتركه عندما يتم العبور .
وبعد ذاك ؟ لا اعلم ان كان الضياء والظلمة هما هنالك سيان .
المجهول هو الحرية الدائمة ..
انه في حبه لا يرحم .
انه يستحق الصدفة من اجل اللؤلؤة الساكنة في سجن الظلام .
انك تتامل وتبكي الايام الماضية ايها القلب المسكين !
اهنأ .. فستاتي ايام !
لقد ازفت الساعة ايها الحاج !
انها ساعتك لكي تمضي من مفترق الطريق . لسوف يرفع الحجاب عن وجهه مرة اخرى .. وستراه .

***

النهار الذي يقف بيني وبينك ينحني انحناءة الوداع الأخيرة .
الليلة تسدل نقابها على وجهها ، وتستر المصباح الوحيد المشتعل في حجرتي .
خادمتك السمراء تقبل دون ضجة ، وتفرش بساط العرس ، كي تاخذ مجلسك هنالك ، وحيداً معي في الصمت اللادنيوي حتى ينتهي الليل .

***

لقد مرت ليلتي على فراش الاسى .. وعيناي متعبتان .
قلبي المثقل غير متاهب بعد للقاء الصبح بافراحه المزدحمة .
اسدل نقابا على هذه الليلة العارية ، وحول عني هذا الوميض الساطع ورقعة الحياة .
دع دثارك من الظلمة اللينة يغمرني في مطاويه ويغطي المي حيناً عن قسوة العالم .

بغداد — اكرم الوتري

عطر الرحيل

« عند مقدم كل خريف أشعر بحزن مبهم بعيد الصدى، وتتلقف الدموع في مقلتي وهي تبحث عن موكب الزهور في الربيع، فلا يعود اليها مع الليل إلا ... عطر الرحيل »

مهداة الى الدكتور ابراهيم ناجي بك

☆

هل تراه الخريف وشك القدوم يبعث الشجو في حنايا الكليم؟
هو ذكرى الربيع بلهها الدمع فذابت مع المغيب السهوم
هو طير الصدى يعود غريباً بعد ما ضاع لحنه في الغيوم
هو عطر الرحيل، والراكب اسرى خلف نائي الهضاب، خلف النخوم
يا ربيعي افق .. وعد بالأماني يا ربيعي اضيء ظلام الغيوم
كنت اقصوصة الكؤوس مع الليل وإيماءة الطلا للنديم
والتقاء الاكوان في ضمة الحب على شاطىء الضياء الوسيم
انت وحدت في خيالي معنى لوجود يرى شتيت الرسوم
لو يمس النسيم حسي ألاقي كل ما مسه بنان النسيم
واذا ما نشقت في الليل عطراً همست في دمي حنايا السديم ..
فالأزاهير للاشعة همس صورته الحياة بالتجسيم
والازاهير للسما قبلات طبعتها على شفاه الاديم
انظروا للشعاع لما تهادى ضم كل الدنى بشمل عميم
أنا فيه اضم ما قد طواه وأحس المجهول في المعلوم
أين تلك التي سرت في ربيعي كرفيف الاطياف في تهويمي؟
أقبلي .. فالخريف ظلل دمعي اقبلي .. فاللظى ينادي هشيمي
إنني للغروب جرح على الارض به رعشة اللظى المحموم
فافتحي صدرك الدفيء لتجثو في محاريبه السواجي كلومي
انا في صدرك اختبأت يتيما فابتغي الامن للوليد اليتيم
واسدلي شعرك الطويل لنمسي كطيوف سرت بافق مغيم
حملتني به ضبابة حلم لضفاف مخملات النعيم
ثم القت رحالها فوق ثغر شفقي .. يفتر عن ترنيم ...
فتهاويت فوقه اعصر الكرم بكف تجيد عصر الكروم
فاذا ما سكرت عدت الى الحلم انادي امومتي من صميمي
... هدهديني بكف صوتك اني فازع الفجر من فنائي الجهوم
هدهديني برحمة .. انت أمي والثمي دمعتي بلحن كريم
واجعلي القبلة الطويلة نجوى لغريبين في متاه الهموم
حيث نطوي الزمان في قبلة الليل ونحيا في عالم الديموم
وكأن الشفاه تحكي علينا قصة الكون في سكون رخيم
سوف اغفو على يديك وابكي بدموع المعذب المظلوم
فاخبئي دمعتي بقلبك سراً انت يا بسمة الظلام الرحيم

***

اطلقيني اسابق الريح ليلا لا أخاف الظلام فهو نديمي
في السحيق السحيق حيث انطلاقي وخفوقي وقلب تلك النجوم
وانسلالي مع السحاب كاني حلم الارض في خفايا السدوم
واتكائي على الظلام كطفل راح يشكو الضنى لام رؤوم
وندائي عليك عبر الدياجي في حنين المدله المحروم
كي الاقي على يديك صباحي بعد ليل من الشجى مسموم ..

***

انه الليل يا شقيقة دمعي انصتي .. انصتي لهمس النسيم ...
رقد الناس تحت ظل الأماني آدهم في النهار برح الكلوم
نحن والناس في عناق سكون ضم تلك السما بهذا الاديم ..
باركي الارض .. بابتسامة طهر واغفري حوب عالم منهوم
وجهك الطاهر البريء تراءى منه فجري .. والليل في تهويم
هو إيماءة الخلود لروحي وهو لي نظرة الاله العظيم
وهو الآن في صلاتي يبدو توبة النور للظلام الاثيم ..

الاسكندرية — محمد الجبار

سيرة شاب فلسطيني

قصة

بقلم نجاتي صدقي



الحاج حسين ابو السماح يملك بيارة برتقال تقدر مساحتها بالف دونم ، تقع الى جنوب يافا الشرقي، يصدر منها سنويا الى الاسواق الخارجية الالاف من صناديق البرتقال وتدر عليه الارباح الطائلة .

اما هذه البيارة فقد ورثها عن والده ، وورث معها قصراً فخما يقع في وسطها ويتألف هذا القصر من طابقين ، وكل طابق مؤلف من ست غرف وبهو واسع وتقوم الى جانب القصر ابنية عديدة احداها للخدام والبياريين ، وتقوم فيها بركة ماء كبيرة لري البيارة تستخرج مياهها من اعماق الارض بواسطة مضخات آلية قوية ، وثانية للماشية والطيور والدواجن، وثالثة لحفظ الالات على اشكالها ، ورابعة هي مخزن للاخشاب والصناديق .

وفي مواسم البرتقال تتحول هذه البيارة الى ما هو اشبه بساحة الاعياد تعج بعشرات العمال والعاملات ، ومعظمهم من ابناء القبائل البدوية التي تنزح الى تلك المنطقة كل شتاء سعياً وراء الرزق ويكون بينهم عادة جماعات من اهالي حوران وجبل الدروز وكلهم يقومون بما يتطلب منهم من اعمال فيقطفون البرتقال ويضعونه بالسلال ثم يفرغونه في ساحة التعبئة ، ويفرزون ما هو خاص بالتصدير عما هو لازم للاستهلاك المحلي فيعبئون الاول في صناديق لتشحن في البواخر ، ويضعون الثاني في عربات لترسل الى الاسواق الداخلية.

اما القصر فقد فرش بافخر الاثاث الشرقي واجمله فالخزائن والمقاعد والزيات صنعت في دمشق ، والسجاجيد منها ما هو طهراني ومنها ما هو تطواني . اما الحرائر والاجواخ فجلها قديم موروث عن جد العائلة بكير اغا ابو السماح قد ابتاعه من الاستانة في يوم من ايام شبابه.

وفي هذا القصر ولد اديب ونشأ وترعرع وكان وحيد ابويه فالخدم رهن رغباته ونزواته والام تعتقد ان الدنيا لم تخلق الا له، والاب لم يأل جهداً في تعليم ابنه وتهذيبه فاحضر له الشيخ زين الدين اليازوري يعلمه القران وامور الدين كما احضر له الشيخ عبد المجيد الحلاق ليعلمه اللغة والنحو والحساب ... ولما كبر ارسله الى المدرسة الابتدائية في يافا وبعد ان اتمها نقله الى كلية دوحة العلوم في القدس . وقد عرف اديب في كلية القدس بانه لم يكن ليهتم كثيراً بتعليم نفسه ومبعث هذا الاهمال اعتماده الغريزي على بيارة والده التي تدر الذهب الكثير كل سنة ، كما ان معلميه كانوا يشجعونه في تفكيره الخاطىء هذا اكراماً لوالده ويعدون له الاسئلة ويلقنونه الاجوبة قبيل كل فحص سنوي .

وبعد ان نال اديب شهادة التعليم الثانوي عاد الى بلدته فاحتفى به والده احتفاء منقطع النظير واحيا لهذه المناسبة سهرة كان المطربون فيها يشنفون اذان الحضور باغانيهم البلدية العذبة .

وعند نهاية السهرة نهض الحاج حسين والقى كلمة شكر فيها الحضور على تلبيتهم دعوته . وقال فيما قاله .. « واغتنم هذه الفرصة لاقول لكم بانني ما انفقت المال الوفير على ولدي وما احتفيت به واكرمت وفادته، الا ليحافظ على شيء له من المكانة في نفسي ما لولدي ذاته وهذا الشيء هو الارض ... هو البيارة ...

تعلمون ولا ريب ان وعد بلفور الذي صدر منذ عشر سنوات يرمي الى اقرار المهاجرين اليهود على اراضينا بشتى الوسائل واهمها : الاغراء بالاسعار الباهظة ، والاستعانة بمحاكم تسوية الاراضي، واللجوء الى استعمال القوة.. وها قد رأيتم فعلا كيف ان جارنا السيد عبد الودود البلاوي قد باع بيارته لجمعية شراء الاراضي اليهودية، وتبعه جارنا الثاني السيد محمود الرملاوي فباع مائة دونم من اراضيه الزراعية الى اهالي مستعمرة «كفار يهودا» وان سمسار الاراضي خانكي لا يالو جهداً في اقناع السيد وجيه حجيج بان يبيع بساتينه المتاخمة لحدود بيارتنا ويبدو ان هذه الصفقة اليهودية ستتم قريباً ان لم تكن قد تمت .

فهلا انتبهتم الى هذا الخطر المحدق بنا؟ لا تبيعوا اراضيكم لانها ركن حياتكم، فاراضينا ورثناها عن آبائنا، وآباؤنا ورثوها عن اجدادنا، ويجب ان تظل لاولادنا ولاحفادنا، وعلى ذلك فان اراضينا هي في الواقع ليست ملكا شخصيا لنا ، وانما هي

امانة في اعناقنا ولا يحق لنا ان نتصرف بها كما نشاء .

ثم التفت الحاج حسين الى ولده اديب وقال : استمع الي يا بني انني اوجه النصيحة اليك ايضاً فغداً سترثني وتصبح مسؤولا عما تركته اسرتنا من ارض .. لقد انفقت الاموال الطائلة على تعليمك وتهذيبك وها انا اليوم اجني ثمار مجهودي برؤيتك وانت تحمل الشهادة موشاة بماء الذهب ومحلاة بختم الكلية وموقعة بامضاءات المديرين . والذي افهمه من هذه الشهادة انها وثيقة تدل على صيرورتك قادراً بان تقف على قدميك في هذه الحياة دون الاعتماد على والدك وهذا الامر لا يعني طبعاً انني ساهملك كما لا يعني انني ساورثك املاكي وانا على قيد الحياة . لن اهملك لانني اريد تدريبك على الحياة العلمية وافهامك كيف يجب ان تتصرف بشؤوننا الزراعية ، ولن اورثك شيئاً من اموالي واملاكي قبل مماتي حتى لا تفسد المادة اخلاقك وحتى لا يصيبني ما اصاب ذلك التاجر واذل في شيخوختي فقاطعه اديب قائلا : وما هي حكاية ذلك التاجر يا ابي ؟ فاجابه الاب : زعموا ان تاجراً ثرياً شاخ فاحب ان يرى اولاده يرفلون باثواب العز والهناء ويتقلبون على فراش الرغد والسعادة حتى يقبلوا على خدمته عندما يهرم ويقعد عن العمل ... فوزع عليهم ثروته وهو حي يرزق .

وان هي الا فترة قصيرة من الزمن حتى احتقره ابناؤه ونبذوه نبذ النواة وصار كل واحد منهم يوصد الباب في وجهه ويحوله الى غيره . ففكر الشيخ طويلا في طريقة تعيد الصواب الى اولاده العقوقين .. وذات يوم استدعى ابناءه وقال لهم : لقد وقعتم في الشرك ايها المناكيد ... وزعت عليكم بعض ثروتي لكي اسبر غور اخلاقكم وقد تبين لي الآن انكم لستم اهلا لتكونوا ورثائي بعد مماتي .

ثم اشار الى صندوق حديدي مقفل في جواره وقال : اما هذا الصندوق الحديدي فلن تمسه يديكم ما دمت على قيد الحياة . ومنذ ذلك الحين انصرف ابناء التاجر الى التنافس في خدمة ابيهم والاعتناء بهنائه وراحته حتى وافاه الاجل فجأة فشيعه اولاده الى مثواه الاخير باحترام وتبجيل زائدين ، وبكوه بكاء مراً ، وحدوا عليه واقاموا له مأتماً استمر سبعة ايام وكان المقرئون اثناءها لا ينفكون عن تلاوة آي الذكر الحكيم على روحه . وفي اليوم الثامن اجتمع الابناء حول الصندوق الحديدي ليقتسموا محتوياته فيما بينهم ففتحوه فلم يجدوا فيه سوى رسالة وعصا !..

وجاء في الرسالة ما يلي .. « بهذه العصا يضرب كل اب يوزع ثروته على ابنائه قبل وفاته »

فاعترت اديب لسماع حكاية والده هذه هزة وامتقع لونه ، اما الحضور فقد دهشوا لها وانصرفوا وهم يتذاكرون في مغزاها ويتناقشون .

***

انقضت اربع سنوات على دخول اديب معترك الحياة العملية وكان في اثنائها مطيعاً لوالده لكنه يضمر امراً في نفسه لم يكشف عنه ، وكل من تفرس في وجهه شاهد فيه امارات الكبت والكآبة وعبثاً حاول والده ان يدرك السر في ذلك .

واقعد المرض الحاج حسين الذي كان يشكو من ارتفاع ضغط الدم وقد نصحه الاطباء بالاعتدال في حياته وباتباع نظام خاص في الاكل الشرب والنوم .. فعمل بنصيحتهم وكان يشعر بتحسن مضطرد الى ان حل شهر رمضان المبارك حيث اخذ الحاج حسين يعبث بنصيحة اطبائه ففي مساء يوم من شهر الصوم جلس الحاج حسين الى مائدة الافطار وشرب كوزاً من الخروب المثلج واعقبه بصحن دجاج وبغيره من الكوسى المحشي وبثالث من الارز مع الخضار ورابع من الكبة ثم تحلى بصحن من القطايف واتبعه ببعض قطع من الزلابية المعقودة بالدبس والمعطرة بماء الزهر . وبعد الافطار بساعتين احس الحاج حسين بخور قوي ورغبة ملحة الى النوم ، وعند الساعة الحادية عشرة ليلا شعر بدوران عنيف ولما قاربت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل استدعى الطبيب وفي الساعة الثالثة صباحا اسلم الروح ..

واقبلت وفود المعزين تعزي اديباً بفقده والده وتسأله الصبر والاعتماد على الله وعلى ساعده وتقول له ان اباه ما هيأه خلال عشرين سنة الا ليبرز في مثل هذه الساعة العصيبة .

وفي اليوم الثالث من وفاة والده جاءه معزيا شيخ سماسرة الصهيونيين في فلسطين المدعو يعقوب خانكي وهو من مواليد البلاد واحد مؤسسي مستعمرات روتشيلد قبل الحرب العالمية الاولى واحد العاملين الاكفاء في حقل الجاسوسية الدولية سنة ١٩١٥ .

وهو رجل مديد القامة ممتلىء الجسم شديد البنية ، احمر الوجه ، اشقر الشعر ازرق العينين لا تفارق ثغره ابتسامة خبث عريضة ، وهو حاضر البديهة سريع الخاطر خبير في عادات العرب وتقاليدهم يتقن لهجات الحضريين والقرويين والبدو ويحفظ الشيء الكثير من حكمهم وامثالهم اما زيه الدائم فهو الزي العسكري على وجه التقريب ، سترة تزرر حتى الرقبة وقبعة متدلية الاطراف وسروالا خاصاً براكبي الخيل ونعلا يبلغ الركبة وله حصان يمتطيه دائماً في تجواله بين العرب في مدنهم وقراهم .

استقبل اديب خانكي كما استقبل غيره بوجه شاحب وعينين ذاهلتين .. وبعد تقديم القهوة وتبادل عبارات التعزية انصرف الجميع الا خانكي .

لم يفقه اديب السبب الذي يحدو بهذا الزائر الى البقاء اكثر من المدة المتبعة .. ثم ما الذي يدعو هذا الزائر الى ان يحدجه بنظرات كلها عطف وحنان .. فمن يكون هذا الرجل يا ترى ؟ فقطع عليه خانكي حبل تساؤله بقوله : اديب افندي ارجوك ان تجلس الى جانبي قليلا فلدي ما اقوله لك

فاسرع اديب ملبياً سؤل زائره وجلس الى جانبه وكله آذان صاغية .

قال خانكي .. هذا حال الدنيا يا اديب افندي فكل من عليها فان .. فلا تهن ولا تحزن .. فهم السابقون ونحن اللاحقون .. اتظن انك الشخص الوحيد الذي يفقد والده .. لقد فقدت ابي مثلك منذ عشر سنوات وحزنت عليه وبكيته ولكن الى اجل مسمى .. واني لا اقول لك بالا تحزن على ابيك والا تبكيه الا انني ارجوك بالا تجعل من هذه الوفاة سبباً للقضاء على نفسك .

وقبل ان يستمر خانكي في حديثه قاطعه اديب قائلا : ولكن هل لي ان اتعرف الى حضرتك ؟

فاجابه الزائر : انا صديق الاسرة .. لقد سبق لي ان انقذت المرحوم والدك من ثلاث حوادث افلاس بتدبيري له القروض في الاوقات العصيبة .. انا يعقوب خانكي

فارتجف اديب وقال : خانكي السمسار ؟ قال : اجل ، انا سمسار الاراضي خانكي وما الذي يخيفك في ؟ فسمسار الاراضي مثل سمسار البيوت وسمسار الخضار .. فما عملي هذا الا فرع من فروع التجارة او وسيلة فعالة لتسهيل المعاملات بين الناس .. وانا لا ارغم احد الطرفين على البيع او الشراء ، وانما اوفق بين الفريقين واوفر عليهم الكثير من المشقات والمتاعب لقاء اجر معين يستند الى نسبة مئوية معينة .

فاجابه اديب : انني لا اعيب مهنة السمسرة بحد ذاتها وانما اعيب عليك عملك انت ..

فقال خانكي بخبث : ما الذي تعنيه بكلامك هذا ، اثبت لي بانني الحقت الاذى باحد من العرب ، برهن لي على انني ارغمت احداً على بيع ارضه الى اليهود ... فكراهيتك لي لا تقوم على اساس وانما هي وليدة الوهم والخيال ... فتصور انك سترغب ذات يوم ببيع ارضك وياتيك شار لها بمعدل مائة جنيه للدونم الواحد وياتيك شار آخر يعرض عليك ثلاثمائة جنيه للدونم الواحد فلاي منهما تبيع ؟...

فاجابه اديب مستهجنا : انني لا افكر في بيع اراضي . فقال خانكي : اقول اذا اردت بيع ارضك في يوم من الايام لا سمح الله .. وهل في البيع والشراء من عيب ؟ انت الشاب المثقف تقول بجمود الاوضاع الاقتصادية ؟ أأنت الذي درس « دافيد

ريكاردو » في علومه الاقتصادية تقول بضرورة حصر النشاط الاقتصادي في الزراعة ؟ اننا نعيش في عصر التجارة والصناعة والمتاجرة برؤوس الاموال ... فالارض مهما بذلت فيها من مجهود لا تعطيك عشر ما يمكنك ان تجنيه من الحقول الاقتصادية الاخرى .. ففي التجارة تربح الالاف من الجنيهات دفعة واحدة وفي الصناعة يتدفق الذهب عليك في سيل منهمر ، وفي استثمار رؤوس الاموال تاتيك الثروة وانت نائم في فراشك .

فالزراعة على الجملة هي مهنة قذرة تضطر من يتعاطاها الى ان يجادل دائماً مع الفلاحين ويعرض نفسه الى بذاءتهم وبراغيثهم . فشاب عصري مثلك يجب عليه ان يفكر تفكيراً عصرياً وان يلبس لبساً انيقاً وان يركب احدث السيارات وان يقضي لياليه في اندية الثقافة والفن الرفيع ، وان يراقص الحسان ويتعرف اليهن عن كثب وهن يرتعن في عالمهن الزاهي الجميل .

واشعل خانكي سيجارة وارسل دخانها في الفضاء ، وقال : اسالك المعذرة يا اديب افندي لانني خرجت على التقاليد المرعية في مثل هذه المناسبات فبدلا من ان التزم الصمت او ان احصر حديثي في شؤون التعزية تطرقت الى الزراعة والصناعة وغيرها .. ولكنها نصيحة قلتها لك بوصفك ابن صديقي المرحوم الحاج حسين ابو السماح ، وثق بانني ساكون دائماً عند حسن ظنك كما كنت عند حسن ظن المرحوم والدك فاذا ما احتجت الى قرض او الى انجاز مشروع اقتصادي فتجدني في كل ساعة رهن اشارتك والى اللقاء .

***

وجد اديب نفسه على حين غرة انه يملك اراضي وبيارات وثروة نقدية لم يبذل في الحصول عليها اي عناء فاصيب بدوار افقده وعيه كما انه وقع في مشكلة نفسانية اقلقت مضاجعه مبعثها التناقض القائم بين العمل المطلوب منه القيام به بحكم الارث وطموح الشاب العصري .

كان يحلم بان يصير طبيباً او مهندساً او محامياً او مدير شركة او مصرف او ما شابه ذلك من الاعمال الحرة التي تقتضي اقتناء سيارة ومكتب خاص وسكرتيرة وحاجب .

حاول اديب في بادىء الامر ان يوفق بين مهنة «الارث» ومهنة « الطموح » فعين وكيلا لادارة املاكه وانتقل الى المدينة وشيد فيها بيتاً على الطراز الحديث، وافتتح مكتباً لتصدير الحمضيات وابتاع سيارة انيقة وشرع يحيا حياة عظمة وجاه، حياة لا تدر عليه شيئاً وانما ينفق فيها ما تدره عليه املاكه في القرية .

وتنقضي ثلاث سنوات عاصفة احدثت تغييراً كبيراً في اوضاع اديب كما اجرت تبديلا ملحوظاً في سلوكه وتفكيره .

انضم اديب الى جمعية تجار الحمضيات العربية اليهودية ثم غدا عضواً في ناديها وفي هذا النادي وعلى موائد ميسره وفحشه بدأ اديب يخسر حاضره ويهدم مستقبله فتعرف فيه الى عدد من الغانيات اللواتي كن يستنزفن ثروته .

كان في فلسطين جمعية لتجار الحمضيات عربية يهودية مهمتها بحث شؤون الحمضيات ودرس كيفية توزيعها على الاسواق العالمية وارسال وفود الى اوروبا لتعقد صفقات مع مستوردي البرتقال في مرسيليا وامستردام وليفربول وكان للجمعية نواد تقيم فيها السهرات والحفلات في مقاهي « بلس» و«السامودار» و « النوجا » في تل ابيب وقد اشترى لاحدهن مرة معطفاً من الفرو الثمين بمئتي جنيه وقدم لثانية جواهر يقدر ثمنها بخمسمائه جنيه وفرش لثالثة بيتاً في ساحة ديزنكوف في تل ابيب كلفه اكثر من الف جنيه وكان له فريق من المعجبين والمعجبات لا يدخرون وسعاً لابتزاز امواله ودفعه الى مهاوي الخراب والدمار . وبين عشية وضحاها اصبح اديب سكيراً عربيداً ومن حوادثه المشهورة انه كان يتغرغر بـ « الكوكتيل » اذ امتلات

معدته بالخمرة .. او انه يستثير تقيىء الخمرة من جوفه ليملأه من جديد !.. وحدث ذات ليلة ان نفد البنزين من سيارته وهو بصحبة فريق من اصدقائه وصديقاته فخيل له السكر ان يفرغ ثلاث زجاجات ويسكي في صهريج السيارة ليسير محركها !

ومن نوادرة في مصيف بحمدون في لبنان ان دخل مقهى مكتظاً بالمصطافين والمتنزهين وصاح باعلى صوته ايها السيدات والسادة .. انتم كلكم ضيوفي فرجائي اليكم الا تدفعوا قرشاً واحداً ثمن ما تأكلونه وتشربونه .. فدهش الحضور لهذه المفاجأة وراحوا يتساءلون : من يكون هذا الشاب الكريم؟.. وسرعان ما عرفوه انه شاب فلسطيني مثر يحب الظهور ويتهالك على الشهوة .

ومن نوادره في القاهرة انه كان يحجز لنفسه جناحا كاملا في فندق « الكونتننتال » ..

وتنقضي ثلاث سنوات اخرى فاذا بنفقات اديب تبلغ اربعين الف جنيه بقوتها الشرائية لما قبل الحرب العالمية الثانية .

ويستيقظ اديب ذات صباح فيجد نفسه هزيلا معدما لا ارض له ولا مال ولا اصدقاء فيطرق ابواب العمل وهو لا يتقن اي نوع منه فيرتد خائباً ويصبح عالة على اهله وذويه .

ولما اعلنت الحرب عمل في دائرة التموين بمثابة موظف بسيط، وبعد ان وضعت الحرب اوزارها اغلقت هذه الدائرة ابوابها وعاد اديب الى التسكع وكان ناقماً ثائراً .

ولنقمته هذه اسباب كثيرة منها ما هو شخصي يتعلق بنكبته الخاصة ، ومنها ما هو سياسي له ارتباط وثيق بالنطاق الصهيوني المضروب حول مدينته يافا وشعوره بازدياد هذا النطاق ضيقاً يوماً بعد يوم .

ثم انضم اديب الى منظمة الفتوة وارتدى اللباس العسكري وصار يقود مفرزة من تلك المنظمة ، ولما شن الصهيونيون الحرب على عرب فلسطين لاقامة دولة لهم بقوة الحراب الدولية كانت يافا هدفهم الاول لانها مركز عرب فلسطين التجاري والثقافي والمزاحم الكبير لليهود في تجارة الحمضيات ، فداهموها وارغموا سكانها البالغ عددهم المائة الف نسمة على النزوح عنها في اتجاهات ثلاثة : مصر جنوباً، وجبال نابلس شرقاً، والبحر غرباً

لقد صهرت الحوادث اديباً وجعلته عنصراً وطنياً مفيداً بعد ان كان احد المعاول التي عملت على هدم الكيان الوطني فدافع عن مدينته دفاع المستميت وجرح في المعارك ثلاث مرات وانقذ خمس عشرة امرأة واربعين طفلا من الهلاك تحت الانقاض في حي المنشية وسكنة ابي كبير .. لكنه اضطر في نهاية الامر الى هجر يافا مع من هجرها من سكانها ورحل الى مصر .

ولأديب اليوم رأيه في نكبة مدينة يافا ، وفلسطين جملة وقد دون هذا الرأي في رسالة وجهها الى احد اصدقائها قال فيها ..

... وبعد فقد شاءت ارادة الله العلي العظيم ان نغادر وطننا الحبيب كما تغادره النساء والأطفال اذلة منكسي الرؤوس ، تنهمر دموعنا من شدة الحزن والألم واننا لا نملك غير الدموع الغزيرة نذرفها تماماً مثلما تفعل النساء .

قد تستغرب انت كما يستغرب غيرك هذا الانهيار المفاجىء في المعنويات وذلك النجاح الذي احرزه اليهود في جميع الميادين .. وملخص القصة يا عزيزي اننا وعدنا بالسلاح والعتاد اكثر من مرة ولكننا لم نتلق سوى البنادق القديمة والطلقات المحدودة.. ويقولون لنا قاوموا مدافع اليهود الثقيلة ودباباتهم الضخمة ومصفحاتهم العديدة وبنادقهم الاتوماتيكية التي لا تحصى وتنظيمهم التام الوافر وتحصيناتهم الراسخة ، ويقولون لنا قاوموا كل هذا بالعدد الشحيح من البنادق .

ويشهد الله على اننا لم نقصر في حق وطننا فقد بذلنا دماءنا واموالنا في سبيله .

وحين ابتدأت معركة يافا الكبيرة يوم الأحد من اواخر شهر ابريل سنة ١٩٤٨ وانهمرت علينا قنابل المدافع من كل صوب واطلقت النيران على جميع حدودنا كالمطر الغزير وتقدمت مصفحات اليهود تخترق الحواجز العربية قاومنا والله بكل ايمان، واستبسلنا في الدفاع كما يجب ان يكون الاستبسال لنحمي بلدنا ونصون اعراضنا .

وستتساءل لماذا تركت يافا مع ان الواجب يقضي ان ابقى فيها ادافع عنها حتى آخر رمق ، نعم ، هذا صحيح ولكن الرأي قد تم بيننا اخيراً على ان الوضع في البلد خطير جداً وانها قد تسقط بين لحظة واخرى ولا يجوز البقاء فيها الا للمجاهدين اما بقية الشباب فعليهم ان يغادروا المدينة والا ذبحوا كما تذبح النعاج .

وقد استقر رأيي هنا في القطر المصري ان اتطوع مع كتائب الاخوان المسلمين التي ستدخل فلسطين قريباً .

وتقف سيرة اديب الحاج حسين ابو السماح عند هذا الحد.. وآخر انباء تلقيتها عنه انه كان يقيم في معسكر القنطرة ، شارع المجدل ، عنبر رقم خمسة !.

نجاتي صدقي

اللاندوما

في الصميم من هذه القارة السوداء، وفي ناحية ما من هذه الغينيا الفرنسية، وعلى بعد لا يقل عن الثلاثمئة من الكيلومترات عن كوناكري، وعلى مقربة من حدود غينيا البرتغالية، والى جوار الاراضي السنغالية، تمتد بين بوكي وجاوال[1]، سهول ومنبطحات واغلة وغير واغلة، قسمتها أنهر لينكورو وفبفيتي وتيميني الى قطاع ثلاث تكاد تكون متساوية، وفوق هذه القطاع الثلاث وعند طوال ضفاف تلك الانهر تبعثرت هنا وهناك، بنظام وغير نظام، حفنات من اكواخ افريقية ارخى عليها الزمن بكلكله وكساها من غباره باستار قاتمة كثيفة، واستقرت تحت سقوفها مجموعة من هذه الانسانية السوداء يبلغ عددها ثمانية آلاف واكثر من الانفس، عراة ونصف عراة، غمرتهم من الحياة طفرة بالغة ولفلفتهم من البؤس في اودية واسدلة، كما غطاهم السواد باقتم لون عنده حتى اختلطت فيهم الملامح والمظاهر، كما تقاربت منهم المشارب والمشاعر. وتلوح حياتهم في مجموعها وفي مظاهرها بكثير من السذاجة والبساطة..

اولئك هم بقايا قبائل اللاندوما او التيابي او قبائل ما بين الانهر، هذه القبائل العريقة في القدم التي كانت في الماضي البعيد، لربع الالف او اكثر من الاعوام ذات العدد العديد والعزم والسلطان، والتي كانت تملك القسم الاكبر من اراضي هذه الناحية السوداء المسماة اليوم بغينيا الفرنسية.. فبعد ان تواكبت عليها من قبائل المادينكي والفولا غزوات، ومر بربوعها الفتح الابيض غدت شتيتاً لا حول لها ولا طول، فانكمشت على نفسها واستسلمت الى حياة تناست فيها ماضيها البعيد، غير محاولة التعرف الا على زرع الارز واليوكا[2] واحياء دورات الرقص وشرب ماء التخيل، حتى زخرت حياتها بالوان منها ما كان تقليداً لالوان الحياة التي تعرفها هذه القبيلة او تلك من القبائل الغازية او المجاورة لها، ومنها ما اوجدته البداهة.

ولعل من اكثر الظاهرات الاجتماعية غرابة، الظاهرات الدينية المغمورة بفيض من الغموض والابهام. فليس من الغريب عند قبائل اللاندوما ان يكون الاب المسلم والداً لمسيحي واخا لوثني.. فحمدو وبول وثياني اسماء نجدها عند افراد الاسرة الواحدة. فالدين عند قبائل اللاندوما ظاهرة مفترضة لا قيمة لها ولا وزن. والفرد عند هذه القبائل، مسلماً كان ام مسيحياً ام وثنياً يعيش حياته تحت جو لا يخلو من شبكة متممة بعضها بعضاً من الاعتقادات والخرافات والطقوس اللاواعية جعلته يحسب هذا العالم المحيط به مأوى اشباح وارواح تعمل جميعها في خدمة «السيمو» رؤساء الكهنة عنده والفيتيش.. فحسب لهؤلاء الف حساب والزم نفسه على اللجوء اليهم عند كل حدث يمر في حياته.. لذلك درجت قبائل اللاندوما على اقامة الاحتفالات العديدة التكريمية «للسيمو»، فعند كل مطلع شهر وفي اليوم الاحد الاول منه تعقد تلك القبائل دورات الرقص ويظهر فتيانها لابسين من الاقنعة اشكالا والواناً. وقلما تجد لاندوماوياً واحداً لا يشترك في عمليات الرقص.. فا«لسيمو» مقدس عند الوثني والمسلم والمسيحي على السواء، وعلى الكل ان يكرموه

اما الزواج عند قبائل اللاندوما فقد تكثر فيه الطرائق والظاهرات الاسلامية.. وكما هو شان القبائل الافريقية السوداء، هكذا هو شان قبائل اللاندوما في تعدد الزوجات.. انما هناك ظاهرة غريبة هي تقديم الفتاة الى الزواج في سن العاشرة ولا يجوز تأخيرها حتى السنة الثانية عشرة. فالفتاة التي لم يكتب لها الزواج قبل الثانية عشرة من سني عمرها قضت حياتها بلا زواج. هذا ومما هو مثير للدهشة ان قبائل اللاندوما العديمة التفكير درجت على احترام المرأة وقلما تعرضت لها باذى او اهانة. وكثيراً ما كانت المرأة صاحبة الحق الاول في الاسرة اللاندوماوية من خصائصها الرأي والمشورة.. وحل المشاكل..

غينيا الفرنسية **يوسف ابو خليل**

(١) بوكي وجاوال بلدتان تابعتان للمنطقة السفلى من غينيا الفرنسية.
(٢) اليوكا نوع من الشرش يزرعه هؤلاء السود كما تزرع البطاطا.



مسارح وابطال

لأديب مروة – قصص وتمثيليات – ١٦٠ صفحة – منشورات دار العلم للملايين – بيروت

مهما حرص الناقد على ان يكون نزيهاً في صراحته ، فهو لا يأمن الا يؤذي صاحب الكتاب المنقود .

وهذه الحقيقة هي التي زهدتني في نقد باكورة الصديق الاستاذ اديب مروة حين اهدى الي نسخة منها . ولكن الصديق الح علي في ان اتناولها بالتحليل ، واعطاني « بطاقة بيضاء » في ان اقول ما اشاء شريطة ان ادعمه بالحجة واقدم بين يديه البرهان. ولعل في ذلك دليلا على ان الصديق يؤمن بنزاهتي ، وهذا ما يسهل مهمتي حقاً ، ويطمعني في رحابة صدر المؤلف . وليثق ان الذي يدعوني الى الصراحة ، ليس هو واجب الناقد الواعي فحسب، وانما هو كذلك واجب الحرص على الاخلاص في صداقتي.

***

يضم هذا الكتاب ست تمثيليات وأربع قصص

ولا ريب في ان ادبنا العربي الحديث ، مفتقر اشد الافتقار الى المسرحية في جميع اشكالها . وقلة هم الادباء الذين عالجوها بنجاح، فيحسن بالمؤرخ الادبي ان يرحب بكل محاولة في هذا الميدان.

على ان النقص لا يبرر الاقدام الذي تعوزه العدة ، لا سيما وان كتابة المسرحية من اصعب الفنون الادبية واحوجها الى الموهبة المصقولة والفن المطبوع . فبأية عدة تزود اديب مروة ، وهو يقتحم هذه الساحة ، وهل استكمل لنفسه الاسباب التي تضمن له النجاح ؟

لنحاول ان نمحص المسرحيات ثم نحللها ، وهذا ما سيتيح لنا تقويمها .

« اشلاء طرس » حوار فكري يدور بين طرس مهجور وريشة مبتلة . ويفهم منه ان الطرس قد اعتزل منذ حين ، وانه في صراع مع اقانيمه الثلاثة ، الماضي والواقع والآمال ؛ وانه يود ان يظل في الفضاء، لانه يكفر بالفن الذي هو مقاييس الفها الناس ، وهو يريد ان ينطلق من عقال الزمان وقيود المكان. ثم يقول الطرس انه يود ان يظل بعيداً عن الطبيعة ليظل قريباً من الفن ، ويضيف ان الطبيعة والواقع لا يستطيعان ان يلحقا بتفكير الفنان وافقه، وهذا ما حدا ببعض الفنانين الى اختراع الرسم التجديدي والشعر الحرفي . ثم يتولى الطرس شرح الفرق بين الطبيعة والفن فيقول ان الاولى تبدع بيسر وسهولة، اما الفنان فلا يستطيع ان يجود ويبدع الا حين يبذل جهداً كبيراً ... « وكلما عمق الجهد ارتفع الابداع واستدق الاتقان، ومن هنا صح القول ان الطبيعة بذاتها ليست الا اثراً ميتاً جامداً، وان مجرد النقل عنها لا يأتي بغير الاثر الميت الجامد » . واخيراً يعود الطرس الى تبرير عزلته فيقول انه يكره التقيد بما تعارف عليه الآخرون من قواعد وطرق محدودة ،وهو لا يطيق سجن نفسه ، لذلك يؤثر ان يصارع اقانيمه الثلاثة « فلا يهمني ان اكون خالداً . ولا ابالي ان اغرق في خضم النسيان » .

هذه آراء الطرس؛ اما الريشة فدورها ثانوي ، ولعل المؤلف لم يجعلها شخصاً في الحوار الا لتستوضح الطرس آراءه . فما غاية هذه المسرحية والام يقصد المؤلف ؟

لا شك في ان الاستاذ مروة كتب هذا الحوار تحت تأثير هذه المذاهب الادبية الحديثة التي من نوع المذهب التجريدي، والمذهب التأثري ، والمذهب فوق الواقعي والمذهب الحرفي وسواها وليس يهمنا الآن ان نناقش هذه المذاهب ونتخذ منها موقعاً معيناً ، ولكننا نعتقد ان المؤلف خلط بينها ، واستقى من كل واحد منها فكرة ما ضمها الى اختها دون ما رباط من منطق او من وحدة فكرية ، فاذا هي آراء شديدة الحاجة الى الهضم ، فضلا عما فيها من وجوه التناقض . فالطرس يقول ان الطبيعة تبدع بيسر وسهولة وهذا ما يميزها عن الفن الذي لا يجود الا يبذل الجهد الكبير ؛ ولكنه يناقض نفسه اذ يقول ان الطبيعة بذاتها ليست الا اثراً جامداً ميتاً ... فكيف تبدع بسهولة ، وكيف تكون اثر ميتاً ؟

ويتساءل بعد ذلك : ما معنى صراع الطرس مع الماضي والواقع والآمال ؟ والام يرمز بالاقانيم الثلاثة ؟ واخيراً ما هي الفكرة بالضبط ؟ الطرس يود الاعتزال ، ولا يرغب في ان يستعمل للكتابة عليه ،لأن الكتابة تقيده . وهذا يعني ان المؤلف يعتقد

بان الكلمة عاجزة عن التعبير ، وان الحل الاخير هو الانقطاع والصمت ... انه يذكرني بهذا النفر الذي يعتقد بان اعظم اثر ادبي هو هذه الورقة البيضاء التي يفكر الشاعر في ان يكتب عليها قصيدة ، ولكنه يعتزم اخيراً الا يكتب شيئاً ، لأن الكلام عاجز عن التعبير عن فكرته ، فيؤثر الصمت ، وينعكس الصمت على الورقة البيضاء ، أبلغ قصيدة !

واعجب من هذا كله ان المؤلف لا يطبق رأياً واحداً من هذه الاراء في مسرحياته وقصصه ، ولا يظهر فيما كتب اي اثر من آثار هذه المذاهب التي انشأ هذا الحوار تحت تاثيرها . فلماذا اذن كتب هذا الحوار ، وما هي غايته منه ؟

لنتريث في الحكم ، ولنحلل مسرحية اخرى : « توبة شهرزاد » .

ملخصها ان شهرزاد تسال الشيخ العجوز [وهو التاريخ] اين يمضي بها ، فهي قد سئمت وجودها معه وتود ان تعود الى الحياة الدنيا . وتساله فيما تساله : الا يخشى طغيان الزمن عليه « ما معنى طغيان الزمن على التاريخ(1) » او تطلب اليه ان يرتاح حيناً من الزمن « ولكن كيف يمكن للتاريخ ان يرتاح ؟ ايقصد المؤلف ان تنتهي الحياة وتموت الدنيا من جديد ؟ » والا يكون قاسياً في تاريخ حياة الناس ، فيجيب انه ينقل الحقائق كما هي الآن ، وانه كان في الماضي يؤدي مهمته كالفنان الهاوي ، فيضفي على الواقع كثيراً من الالوان والتزويق « ما معنى هذا كله : ان يزوق التاريخ الواقع ، وكيف كان ذلك من قبل ، ولماذا انقطع التاريخ عن تزويق الواقع الحاضر ؟ » . واخيراً تخرج شهرزاد من التاريخ . ولكنها تعود تائبة مستغفرة لتخبر التاريخ ان الناس يعيشون في الظلم والظلام والبغي والاستعمار والطغيان وسلطة السياسة والمال « كانهم لم يكونوا يعيشون كذلك من قبل ، وفي زمن شهرزاد على الخصوص ؟ » ويسالها التاريخ : هل يئست من الدنيا ، فتجيب انها لم تياس ، ولكنها ليست متفائلة كل التفاؤل « إذن فما هو موقفها ؟ » وانها تعود الى هيكل التاريخ لتعترف بانه الوحيد الذي تغلب عليها « ما معنى ان يتغلب التاريخ على شهرزاد ؟ » وتساله من جديد الى اين يمضي بها ؟

ما غاية المؤلف من اخراج شهرزاد من هيكل التاريخ واعادتها اليه وتوبتها ؟ وهل صحيح ان العالم القديم كان خيراً من العالم الحديث ، وما هي الفكرة الرئيسية للقطعة ؟ اية صلة بين شهرزاد والتاريخ يمكن ان تبني فكرة عميقة ؟ ما معنى هذه الرموز جميعاً ؟

لعل المؤلف يعمد الى طريقة التجريد في هذا كله ، ولكن للتجريد عادة رمزاً يمكن ان يكشف آفاق معان جديدة في فهم مجريات الامور او طبائع البشر ، فهل يمكن ان يكون لهذه المسرحية – على الشكل الذي قدمه لنا المؤلف – غاية من هذه الغايات ؟ ان كل شيء يدل على انه كان يورد الافكار من غير قرينة منطقية ، ويسجل المعاني اعتباطاً دون ان يبررها تداع ما ، ومن غير ان تقودها وحدة فكرية معينة . وقد تكون رغبة المؤلف في ان « يفلسف » اية فكرة – دون ما حاجة الى ذلك – هي التي تقوده الى هذا العبث .

وبوسعنا بعد هذا ان نرد خطأ المؤلف الفادح الى انه لا يضع تصميماً للتمثيلية قبل كتابتها ، وانما هو يمضي فيها على غير هدى ، يسوق اجزاءها ويدير حوادثها كيفما تاتي له ، ياخذ لبنة من هنا ولبنة من هناك ، يلصقها بالهيكل الجامد ، حتى اذا بلغ نهايتها وقف حائراً يتساءل عما يريد ، وهكذا يبدو البناء غامضاً متهافتاً ، من الصعب ان يهز فكراً او يثير احساساً .

ويحاول المؤلف احياناً ان يكون طبيعياً في تناول الامور على وجهها الظاهر الواضح ، دون ان يرى حاجة « لفلسفتها » ، فينجح في الابتعاد عن مثل ذلك العبث ، ولكنه – مع الاسف – يظل ضعيف الفكرة ، لانعدام التصميم على اي حال . مثال ذلك تمثيليات ثلاث : « مشروع قبلة » و « حب كهاوي » و « الدنيا عيادة » .

فاما الاولى فقصة لقاء شاب بفتاة في مصعد كهربائي . وينقطع المجرى فجأة فيقف المصعد في منتصف الطريق ، ويدور بينهما حوار يظهر منه ان الفتاة تنفر من ثرثرة الشاب وانه هو معجب بها ، ويحاول ان يقبلها فتصفعه . وحين يعود المجرى الكهربائي يصعدان الى البيت الذي كانا مدعوين – صدفة – اليه في حفلة ساهرة . وبسرعة عجيبة يحرص صاحب الدار على ان يعرف الفتاة على الشاب ، وبالعكس ، فاذا هي ابنة مدير شركة الكهرباء ، واذا هو ابن مدير مصنع المصاعد الكهربائية « اين نجد مثل هذا المصنع في الشرق ، وبطلا المسرحية شرقيان كما يفهم من اسميهما على الاقل » : وكان هذه الحقيقة كانت كافية ليطلب صاحب الدار الى زوجته ان تنادي المأذون لعقد زواج الشاب على الفتاة !

ولا يحتاج القارىء الى وقت طويل للشعور بالتصنع في خلق حوادث هذه المسرحية واجراء الحديث بين ابطالها . ثم هو لا يفهم كيف يمكن ان يتم زواج بين هذين الشخصين بمثل هذه

(1) العبارات التي بين هلالين هي من تعليقاتنا .

السرعة ، وقد نفرت هي منه وصفعته . ويهمنا ان نذكر هنا ان المؤلف نشر هذه المسرحية منذ بضع سنوات في مجلة«الصياد» البيروتية ، فكانت لها خاتمة مناقضة تماماً لهذه الخاتمة ، اذ ان البطلين – على ما نذكر – يتنافران ويتهم احدهما الآخر بقلة الذوق وغلاظة الطبع ، ويفترقان عدوين . ولعل تلك الخاتمة كانت اصلح . على ان وضع خاتمتين متناقضتين لمسرحية واحدة دليل آخر على انعدام حس التصميم والتنسيق لدي المؤلف وعلى انه يتخبط في عناصر الاصطناع والخلق المتكلف البعيد عن طبيعة الحياة وواقعها .

ومسرحية « حب كيماوي » حوار بين شاب وفتاة كان مفروضاً ان يتزوجا ، ولكنها تبادره بالرفض وتساله ان كان ذلك يؤذيه ، فينكر ، فاذا هي تغضب . ويبلغها انه سيبحث عن فتاة تفهمه وتعيش في الواقع ، لا في قصص الحب والخيال شانها، فتاة تجن به ويجن هو بها ؛ ويتم الامر على ان يفترقا ، ولكننا نرى الشاب يشرح فجاة نظريته في الحب فيقول انه رد فعل كيماوي « ويقصد المؤلف انه [تفاعل » ولا ريب] ويوضح ذلك بان جسمين كيماويين اذا اجتمعا يحدثان «فشش»،وكذلك الحب ، هو هـذا « الفشش » « هـذه هي عبارة المؤلف بالذات ! » . وتسعد الفتاة بالفكرة وتقول: ينبغي اعادة التجربة، لان الاناء لم يكن نظيفاً ؛ ويتفقان من جديد على تغيير الاناء « ما معنى تغيير الاناء هنا ؟ » فاذا الشاب يصرح لها بانه مجنون بحبها ، ويطلب جوابها فتقول : « فشش » .

ونحن نرى ان فكرة المسرحية من التفاهة و « العامية » بحث تؤذي ذوق القارىء العادي وقد كنا نربأ بالمؤلف ان يتخذها موضوعا لمسرحية .

وكذلك القول في مسرحية « الدنيا عيادة » ذات الفكرة العادية ، ولا حاجة الى تحليلها .

اما « عناكب الشرق » فتتناول فكرة جيدة ، هي يقظة الشرقي ، ولكن المؤلف يتخذ لها اشخاصاً لا يصلحون لتمثيلها، هم العقل والقلب والضمير والذاكرة الذين يتجادلون حول اسباب تاخر هذا الفتى النائم «الشرق» فبعضهم يعطف عليه ويلتمس له المبررات والبعض الاخر يهاجمه وينهض الفتى آخر الامر من نومه ليعلن ان نزاع هؤلاء الاشخاص هو الذي اودى به الى هذه الحالة، وانه يود ان يرى لنفسه عقلا جديداً وضميراً جديداً وقلباً جديداً. نقول ان هؤلاء الاشخاص لا يصلحون لتمثيل الفكرة،لان تاخر الشرق ليس عائداً الى تنازعهم « اياكان الرمز الذي يتقمصونه»» ، وقد يكون من اسباب هذا التاخر صدأ في العقل ، ولكن لا حاجة للشرق باستبدال ضميره وقلبه ، فضميره لم يكن يوما مدخولا ، وقلبه لا يفتقر الى مزيد صفاء .

بقيت المسرحية السادسة والاخيرة : « البطل » .

ونبادر فنقول اننا نعجب اشد العجب للفرق العظيم الذي يقوم بين هذه المسرحية والمسرحيات التي سبق ذكرها ، حتى لكأن الذي كتب هذه غير الذي كتب تلك. ولولا ان لنا معرفة سابقة ببطل هذه المسرحية وبظروف حياته التي تصفها ، لشككنا في ان يكون الاستاذ اديب مروة كاتبها . ولا ريب في ان قوة التصميم الفني ،وجمال الحوار ، وعمق الفكرة، والاجادة في رسم الشخصيات وتصويرها ، كل ذلك يحدو بنا الى تشجيع المؤلف وحثه على المضي في كتابة المسرحية ، بالرغم من وجوه الضعف التي تبدت لنا واضحة في التمثيليات التي حللناها .

ولا نستطيع ان نعزو نجاح المؤلف في هذه المسرحية الا الى حقيقة واحدة : هي انه اقتبس موضوعها من الجو الذي يحياه ، واستقى صور ابطالها من الوسط الذي يعيش فيه ، فآلف بين الموضوع وبين الصور ، وتقمص شخصية البطل الرئيسي ، ثم اضفى على ذلك فناً يبدو انه يستطيع ان يجود فيه، ونقصد الحوار، فجاءت هذه التمثيلية ناجحة اقرب ما تكون الى الكمال

بطل قصة يبحث عن بطلة . ويلتقي بفتاة فيحدثها بشانه ويدعوها الى مقابلة البطل في غرفته ، وحين تطلع على الحقيقة وتعلم ان البطل لم يكن غيره هو ، يخيب ظنها وتتبرم به ، ولكنه ينجح في اقناعها بالبقاء ريثما يعد لها فنجانا من القهوة ، فتبقى على مضض . ويتفق ان ياتي لزيارة « البطل » في تلك اللحظات صديق له ، فتحسبه الفتاة « البطل » الذي اصبح له في مخيلتها صورة اخرى . ويجري الحديث بينها وبين القادم الجديد ، فتتآلف نفساهما ويتفقان على الخروج ليقصدا المرقص . ويصيح بها البطل الاول ان القهوة جاهزة فلينتظراها ، ولكنهما يمضيان لا يلويان عليه . فيقول اخيراً : « اذهبا لا ردكما الله ، لم تبق لي حاجة اليكما بعد الآن ، لقد تمت قصة البطل ! »

فكرة المسرحية كما تبدو خالية من التعقيد والتكلف،ولكنها نابعة من اعماق حقيقة الحياة التي يحياها كل فنان ، وكل قصاص بصورة خاصة . والواقع ان هناك فكرتين اثنتين ترتفعان بقيمة هذه المسرحية درجات : اولها الحرمان الشديد الذي يعيش فيه

القصاص ولا يستطيع ان يجد له متنفساً إلا السعادة التي يتخيلها للابطال الذين يخلقهم ، وهكذا يداوي حرمانه بسعادة الخيال أو بخيال السعادة . والفكرة الثانية هي هذا الصراع ما يفتأ ينشب بين المؤلف واشخاص قصصه « والبطل هنا هو المؤلف نفسه » ، فهو يحسب ان بوسعه ان يقود اشخاصه دائماً الى الطرق التي يرسمها لهم ويوجههم في السبل التي يشقها امامهم ، ولكنه ينسى ان هؤلاء الاشخاص يصبحون احياء حقيقة ويتطعمون بالواقع ، فاذا هم يثورون ويطلبون لانفسهم حرية العمل والتصرف حسب اهوائهم ، او حسب اهواء الحياة ، لا حسب خيال المؤلف ؛ وهكذا يصبح المؤلف متفرجا ، او هو يخضع لسير ابطاله ، ويراهم يشقون طريقهم بانفسهم ويجرون في غير المجرى الذي كان يقدره لهم .. وهكذا يتركون المؤلف يطبخ لهم « القهوة » ليطبخوا هم لانفسهم ما يحبون .. الرقص مثلا!

ولسنا نزعم ان صاحب « مسارح وابطال » هو صاحب هذه الفكرة ، فقد عالجها قبله بالدراسة والبحث والقصة كثيرون نذكر منهم فرنسوا موریاك في كتابه « القصاص واشخاصه Le romancier et ses personnages » وتوفيق الحكيم في بعض مقالاته وقصصه . ولكن اديب مروة استطاع ان يخرجها بصورة موفقة بعيدة عن التكلف تجعلنا اميل الى التفاؤل بفنه المسرحي اذا اهتم باحكام التصميم والاقتباس من واقع الحياة والابتعاد عن الخيالات المغرقة في التعقيد والاضطراب . ونعيد القول ان في حواره عناصر قوية تنال رضى الفن ، فضلا عن ان عنده لمحات فكاهية موفقة .

ولسنا بحاجة الى كثير تامل لنجد في جميع مسرحياته اثر توفيق الحكيم ، اثر جوه الفكري وحواره الحي ، ونكتته الحلوة ، وعصبية عباراته . وهو كذلك متاثر بمسرحيات سعيد تقي الدين في جوها العام ، ولا سيما في اختيار اسماء الابطال الذي ينزع الى الاغراب والاضحاك .

***

ونتنقل الآن الى الحديث عن المؤلف كقصاص . والملاحظة الاولى التي يلاحظها القارىء ان الفجوات في قصته اقل منها في مسرحيته ، وذلك طبيعي بالنظر الى اتساع ميدان القصة لالوان كثيرة من الحرية الكتابية والفنية لا ينعم بها فن كتابة المسرحية المقيد . ولا يرى القارىء المؤلف الا حريصاً على اقتباس القصة من جوه ، ولهذا امن كثيراً من الزلل .

والملاحظة الثانية ان المؤلف لا يتبع نهجاً واحداً في معالجة القصة ، فمرة يعمد الى التحليل واخرى الى وصف الحركة والحادث وثالثة الى تغليب الحوار . وللتنوع في النهج القصصي محاذير كثيرة ، ولا سيما بالنسبة لقصاص مبتدىء ؛ فهو يحرمه على اي حال فرصة التجويد في خطته بالذات ، ويطبع كتاباته كلها بالضعف والسرعة والاضطراب ؛ وليس التنويع بمرغوب إجمالا الا بعد ان يتملك القصاص فنه ، فيسعه حينذاك ان يتبع النهج الذي يرتأي ، لأنه يعرف كيف يقود فيه موهبته القصصية ، ولنمثل على ذلك بقصة « أخاف الربيع » ؛ فمواقف منها تعتمد التحليل دون غيره ، من غير حاجة دائماً الى التحليل، ومواقف اخرى تعتمد الحوار حيث لا يصلح غير التحليل لشدة ما يطرأ على النفس من خلجات « ص ٤٠ – ٤١ مثلا » . ومواقف ليس فيها غير التصوير ، وهي باشد الحاجة الى التبرير ، كاندفاع الفتاة في التقبيل تارة وفي الازورار تارة اخرى . واياً ما كان، فان هذه القصة عادية جداً ؛ ولو انها كانت تتزود بالحرارة الكافية لتدفئة الشعور الذي تمكن ان تثيره الحادثة، لنعمت ببعض القيمة .

والملاحظة الثالثة ان عند المؤلف ميلا للابتكار لا ينكر ، ولكنه يبدو ضيق النفس قصيره . فبعض قصصه تبشر في صفحاتها الاولى وفي عرضها المشوق بوعود كثيرة ؛ ولكنها ما تلبث ان تمشي الى نهايتها بخطى متعثرة توحي آخر الأمر بالخيبة . مثال ذلك قصة « فوق المنحدر » التي تثير فضول القارىء واهتمامه في مستهلها ؛ ولكن المؤلف يضعف اذ يبلغ وصف موقفه الرئيسي، وهو التقاء الاخوين واقتتالهما في سبيل الاستئثار بالفتاة ؛ فقد مر المؤلف بهذا الموقف مراً عاجلا اثار الخيبة وكان اجدر به ان يطيل عنده وقفته . على ان جو القصة موفق التصوير .

ولكن حظ المؤلف من الابتكار يبدو اوضح واغنى في قصته « باتريك ستراهام » . وفيها وصف لفتى من هؤلاء الوجوديين الكثر الذين يعمرون باريس ويمضون في الحياة لغير غاية ، ويهمهم فحسب ان يمسكوا رمقهم ويؤمنوا رغيفهم اليومي باية طريقة يستطيعون . وقد كان هذا الفتى يتوسل الى تلك الغاية ببيع قصائد من شعره للزوار الذين يترددون على المقاهي. ويهتم المؤلف، وهو شخص في القصة ، باسم هذا الفتى « باتريك ستراهام » ويجد فيه سراً يرشحه للخلود والشهرة ، فيعطف عليه ويمده ببعض المال بين حين وآخر ، حتى استدعاه الفتى ذات مساء ليحتفل في المقهى ببيع قصيدة من شعره بثمن

غال لم يكن يحلم به . ولكن في الليلة نفسها ، يلقى القبض على باتريك بتهمة التشرد ، ويساق الى السجن . على ان الناس يقرأون بعد حين مقالا يذكر فيه باتريك شاهداً على مدرسة الوجودية الحديثة ، كشاعر وراقص ، وهكذا تتحقق بعض الشهرة التي كانت تفوح من اسمه الموحي .

والقارىء يحس بان عند المؤلف فكرة تجول في رأسه ، ولكنه يشعر بانه لا ينال التوفيق كله في التعبير عنها ، لان هذا النصيب من الشهرة التي يرجوها او يطلقها على الفتى نصيب هزيل ، او هو نصيب سلبي يوحي بالخيبة اكثر مما يوحي بالرضى . وضعف آخر في هذه القصة ، هو تدخل المؤلف واشعار القارىء بوجوده اكثر من مرة في ثنايا العرض ، وهو ما ينفر منه كل قارىء ، لان فيه تذكيراً بان المؤلف يختلق ، وصمته ادل على طبيعة الحياة

ولعل القارىء قد لاحظ ان المؤلف يرتكب الخطأ نفسه في مسرحية « البطل » اذ ينهيها بقوله انه لا حاجة له بالبطلين لأن « قصة البطل قد تمت » . ولئن كان كتاب القصة ونقادها لا يجمعون على شيء من قواعدها ، فهم مجمعون على ضرورة اختفاء المؤلف ابداً عن عين القارىء وضميره .

بقيت قصة « نافخ البوق » ولعلها في هدوئها وانسيابها الطبيعي وتصويرها الدقيق وجوها الصادق خير قصص الكتاب وهكذا يتبين لنا من مجموع الاحكام العامة التي تلهمها هذه القصص ، ان المؤلف يستطيع ان يعالج القصة القصيرة بنجاح اوفر من معالجة المسرحية ، اذا عني بتلافي عدد من الاخطاء المنهجية والفنية .

***

وبعد

فكيف نحكم على العدة التي كان اديب مروة يتزود بها حين دخل ميدان القصة والمسرحية ؟

انا نكره كرها شديداً اصدار الاحكام في الادب ، ولا سيما في القصة ، فليس اوسع من مجال الدفاع والتبرير . وكل ما يسعنا ان نفعل هو ان ندعو المؤلف الى ان يتعمق ذاته ، ويتعمق الموضوع الذي يتناول ، ويتدبر ما يقرأ ويروّي فيه ، وليقرأ كثيراً ؛ فليس اجدى من مطالعة كبار القصصيين لتوضيح خطوط السير وتفادي العثار ، واكتشاف اخطاء النفس . وخير ما نفعله حين نواجه موضوعا ما ان نتساءل عن الغاية من طرقه ، ونبلور فكرته في انفسنا . وشر ما نفعل ان نعرض معلوماتنا دون ما هضم ودون ما اقتناع ، لا سيما اذا لم يكن في نيتنا ان نطبقها . واذكر هنا اني لم اجد اي رباط بين الصور التي حواها الكتاب وبين القصص التي تليها ؛ ولعل من ادلة التخبط ان تنهج صور القصص جميعاً منهج الرسم التجريدي او فوق الواقعي وتنهج صورة الغلاف وحدها منهج الرسم الكلاسيكي المعروف

نحن لا ننكر ان البذرة موجودة ، ولكنها تفتقر الى كثير من الماء والهواء والنور لتنضج وتستوي على سوقها .

باريس — سهيل ادريس

مسرحية الاب

تأليف اوجست ستراندبرج ـ ترجمة وديع فلسطين ـ ٨٥ صفحة
منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

اوجست ستراندبرج ١٨٤٩ – ١٩١٢ كاتب سويدي مشهور ، في طليعة كتاب المسرحية العالميين ؛ وكان الى ذلك عالماً غزير المعرفة في شتى نواحي الثقافة . ترك آثاراً خالدة في الادب والقصة والرواية المسرحية وفي العلم والاجتماع والاقتصاد وعلم النبات وعلم طبقات الارض . ويعد اول من كتب المسرحيات المعبرة

ومسرحيته هذه : « الاب » تدور حول قصة ضابط عالم ، ساوره الشك في سلوك زوجته وفي نسبة ابنته اليه ؛ وترك هذا الشك آثاره في نفسه ، مما ادى به الى الانهيار العقلي والفكري ... وهي مع ذلك نقد قوي للحياة والمجتمع والناس في عصر الكاتب وبيئته ؛ وتكشف عن كثير من خصائص النفس الانسانية ومشاعرها وتتخذ طابع الصراحة والجرأة والقوة ، والصدق في سذاجة طاهرة

وقد قام بترجمتها الى العربية الاستاذ الكاتب الذائع الصيت ، « وديع فلسطين » ، ونقلها عن الانكليزية نقلا اميناً دقيقاً ، لم يضع شيئاً من سمات القصة وخصائصها وملامحها وروحها

وكتب الاستاذ وديع في صدر المسرحية تعريفاً طيباً بالكاتب الروائي « اوجست ستراندبرج » مؤلف المسرحية ، وبخصائص والوان حياته ، واثره في فكره

وانا لا اشك في ان « اوجست ستراندبرج » كتب هذه القصة عن نفسه ، وان ما فيها انما هو رموز لأخفاء ما يتصل منها بشخصه ، وانها تمثال فترة من فترات حياته ونفسه وعواطفه . وتفكيره تمثيلا صحيحاً لتشابه ما بين المسرحية وحياة المؤلف ومشاعره وخصائص كتاباته

ولا شك ان تعريب هذه المسرحية الى اللغة العربية عمل جليل ، لانه تعريف واضح بالمؤلف وأدبه ، وفيه فوق ذلك ربط قوي بين ادب الغرب وادبنا الحديث ؛ وكنوز الادب الغربي تعمل عملها في اعماق مشاعرنا الفكرية والادبية والفنية ، وتصلنا بهذه الكنوز الثمينة من الافكار والمعاني والاخيلة والاساليب ، وتقوي من التجارب الانسانية في نفوسنا .. وتدفعنا الى التجريد المستمر المثمر ... ولقد اسدى الاستاذ وديع بذلك الى العربية وادبها يداً لا تنسى

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي



من حديث الصيف في لبنان

الذي يزور لبنان لا بد له من ان يقف قليلا ليصف بعض ما ينطبع في نفسه من آثار جماله الساحر ،

فكأنما اراد الله حينما كون لبنان ان يدل به اهل الشرق على مقدرته الفائقة في صناعة الفتنة ، فرفع الجبال ، وخفض الاودية، وكساها جميعاً بالخضرة التي لا تذبل ولا تحول ، وفجر فيه من حنانه الازلي ينابيع تتدفق ، وجداول وشلالات لا تنقطع عن الغناء وتسبيح القدرة الازلية المبدعة ، ثم جعل البحر عند اقدامه يناغيها ويغسلها بزبد امواجه المتدافعة الى الابد ، ويرش مدنه وضياعه ، وسهوله وتلاله المتعالية ، بنفحات هواه المنعش الندي ، ويعقد القباب الباذخة من ضبابه الابيض المتطاير فوق القمم كدخان البخور آناء الليل واطراف النهار .

والمرء يحار وهو يتنقل في ربوع هذا البلد الصغير الجميل ، في اي قراه ومدنه ، واي سهوله وجباله واوديته اكثر جمالا ، وامتاعا للروح ، وانعاشاً للصدر . فحيثما ذهبت غرقت في ضروب المفاتن النادرة :

في صيدا وبيروت وطرابلس ، حيث يمتد البحر الى ابعد ما يصل اليه الطرف ؟ ويتهادى الهواء الرطب البليل من اطراف الافق البعيد البعيد ، ليلطف حرارة الجو بنفحاته الباردة الندية

وفي زحلة وشتوره ونهر ابراهيم ، على ضفاف الاودية الجميلة حيث ينساب الماء بخرير جميل موقع ،

وفي حريصا وبكفيا وضهور الشوير ، حيث الضباب لا ينى يغمر القمم العالية والاودية السحيقة ، ويلف غابات الصنوبر والسنديان بارديته الكثيفة الدكناء ،

وفي بشري والحصرون والديمان ، على جانبي وادي القديسين الرائع ، الغارق في فتنة العمر ، والذي تقوم على رأسه غابة نبي الارز جبران ، وقبره الذي يضم دنيا من الفن والشعر والجمال الروحي .

وفي قمة جبل الرب حيث تتعالى اشجار الغابة العتيقة ، غابة الارز المقدس ، تحوطها القمم الشواهق كالاذرع المحبة الوالهة ، وتقوم من حولها كالحراس الامناء ،

في كل هذه وفي غير هذه ، ما تخرس الاقلام دون وصفه ، وتخشع عند روعته .

ولقد اتيح لي ان اتجول في هذه الاماكن كلها ، وان اخالط بعض سكانها ، والمس بنفسي شيئاً من البساطة الجميلة ، والحيوية النادرة التي يتمتع بها الناس في هذا البلد الجميل .

اما في زحلة فلم يطل مقامي ، ولكنني استمتعت بجلستين طويلتين في المساء والصباح على ضفة البردوني الجميل ، كما استمتعت بجلسة ادبية رائقة الى الصديق العزيز الشيخ عيسى اسكندر المعلوف ، الشاعر المؤرخ ، ووالد الشعراء الثلاثة النوابغ — فوزي وشفيق ورياض .

وانطلقت بعد ذلك الى بشري ، الضيعة الفاتنة التي خلدها نبي الارز وشاعره جبران بمولده فيها ، وباركها بوجود قبره ومتحفه فيها محجة لعشاق الفن والادب والجمال . لقد زرت هذه الضيعة مرة سابقة في العام الماضي ، وها انا اليوم ازورها للمرة الثانية ، وبي اليها لهفة وحنين .

وفي بشري استمتعت ايضاً بجلستين طويلتين في المساء والصباح الباكر ، قضيتها في زيارة للشاعر الذي احبه — جبران — في قلب غابته التي تتشابك فيها اذرع السنديان في عناق ابدي لا يكل ولا يفتر . وقد كتبت في جلسة المساء كتاباً الى اخت شاعرة تحب جبران مثلي ، وفي جلسة الصباح التي سرقتها وضيعة بشري لم تقطع اشعة الصباح احلام اهلها النيام بعد ، ولا عرفت اغنامها طريق المراعي ، في تلك الجلسة المبكرة كتبت تحية الى روح جبران ، لتلقى في حفلة ذكراه التي كانت ستقام في الثاني من شهر سبتمبر في ذكرى وصول جثمانه الى القرية .

وفي اثناء الاقامة في بشري ذهبت الى اهدن لزيارة جثمان بطل استقلال لبنان الخالد يوسف كرم وتمثاله الكبير الذي يرمز الى العزة والعزم الحي ، والانفة التي لا تعرف الاستخذاء .

ومن هناك ذهبت مع رفاقي لزيارة صديق لنا في قرية «توله» اسمه الاب ابرهيم جلوان . وتوله ضيعة صغيرة غارقة في واد عميق محاط بجبال عالية ، ولم تصل اليها يد المدنية الغربية التي تكتسح مدن لبنان الوسطى بشكل خاص ، ولا امتدت الى طريقها يد « المزفت » ، ولا عناية الحكومة التي تتجلى في اماكن الاصطياف بشكل بارز . وكانت نزهتنا في توله من امتع ما يجود به العمر ، وفيها عرفنا جمال الحياة اللبنانية ، وبساطة نفوس اهل القرى

اللبنانية . وقد دعينا للغداء بين حدائق التفاح المترامية ، بقرب ساقية جارية . واعد لنا الغداء ، واعدت الكبة ، اعدتها فتاتان رشيقتان بارعتا الحسن .

الكبة ... هذا الطعام اللبناني الشهي ... لله ما الذ طعمها من ايدي صبايا لبنان الجميلات، وبين بساتين القرى اللبنانية الظليلة .

وكانت جلسة عائلية منعشة ، امتدت نحو ست ساعات طاب فيها الهواء ، وانفتحت النفوس للذة البريئة . وعلى مائدة الطعام التي حوت مختلف الطعام والشراب ، ارتفع صوت الآنسة البزايت فرح ابنة صاحب البستان الحسناء، بالعتابا وابو الزلف وغيرها من الاغاني اللبنانية الجميلة ، بين الهتافات وندآت الطرب « الله !.. يسلموا عيونك يا البزايت !.. يسلم صوتك الحلو... » يطلقها اقرباؤها الشبان الذين كانوا معنا على المائدة فتستقبلها هي بابتسامة شاكرة بريئة .

ما اجمل الحياة العائلية في قرى لبنان ، حيث البساطة والمرح والبعد عن تعقدات المادة واثقالها ، وعن قسوتها وصرامتها ، وحيث لا تكلف ولا غرور ولا رياء، وحيث الجمال الحقيقي الصافي الجمال في الطبيعة وفي الهواء ، وفي وجوه الصبايا الفاتنات ، وفي اجسام الشبان العاملين في حقولهم وحدائقهم بعضلات قوية .

ذلك بعض ما احسسته ولمسته في جلستنا الممتعة في «توله» .

اما في ضهور الشوير فقد شعرت شعوراً حاداً جريئاً* بانني ابتعدت كثيراً عن جو الضيعة اللبنانية ، وغرقت في عالم المدنية العصرية الغربية . كل شيء يوحي اليك بانك لست في محيط شرقي او عربي — الموسيقى ، الغناء ، الرقص ، نظام الفنادق والمطاعم ، اغلب كلام الشبان والشابات في الشوارع والمقاهي . كل شيء من فرنسا خاصة ... وفرنسا هي معبودة الناس هناك في القسم الاكبر من لبنان . لقد تضايقت حقاً ، واشمأززت كثيراً من هذه الروح الغربية الصرف ، فلو انني كنت اذ ذاك في فرنسا نفسها لما شعرت بالبعد عن قومي وبيئتي اكثر مما شعرت في المصايف القريبة من بيروت-ضهور الشوير، بكفيا، سوق الغرب ، عاليه ، وامثالها . والذي يبدو لي ان الذين يؤمون هذه المصائف من مختلف الاقطار العربية يطمئنون الى هذه البيئة البعيدة عن الروح العربية ، وهم الذين يجبرون اصحاب هذه المصائف على التمادي في هذا الى مثل هذا الحد .

وفي بيروت استمتعت بزيارتين للصديق الكريم صاحب «الاديب» لقيت فيها من بشاشته وبشاشة قرينته ما لا ينسى ، وكان الوقت فيها يعبر بنا بسرعة لم اكن احسها ، ونحن في حديث الادب والادباء ، والكتب والمجلات ، وما اليها .

* يعبر الكاتب هنا عن رأيه الخاص ننشره وان كنا لا نوافقه على اكثر ما ذكره « الأديب » .

اما صيدا فقد شعرت فيها بانني في بيئة عربية صرفة ، وكان اكبر همي فيها ان ازور الصديق الجليل صاحب « العرفان » ، ولكن خانني الحظ ، اذ كان هذا الصديق في بيروت اذ ذاك ، ولم يعد طوال النهار ، غير انني زرت دار العرفان ، ولقيت فيها الاستاذ نزار الزين ، نجل صاحب العرفان، فلقيني بلطف ورحب بي . وقد رافقنا هو والشاب الاديب نجيب مسعد الى دير المخلص حيث شاهدت اغرب شيء كنت اتوقعه . فالمعروف عادة ان الاديرة تعيش على الاحسان ، فهي تمد يدها دائماً لتأخذ لا لتعطي ، واما هنا فالدير مفتوح طوال النهار للزائرين، وموائده ممدودة مجاناً في مواعيد الطعام لكل موجود منهم في زيارة الدير، مهما بلغ عددهم . وقد كان لي ولرفاقي حظ المشاركة على موائد الطعام في تلك الزيارة ، وكان الآكلون اذ ذاك يزيد عددهم على العشرين من الزوار .

وانا اغتنم هذه الفرصة لاجعل خاتمة الجولة تحية شكر وتقدير الى سكان هذا الدير الجميل ، المنفرد بين الجبال وغابات الصنوبر ، والى سائر الاصدقاء، والاخوان الذين عرفتهم وزرتهم في لبنان ، فلقيت منهم كل بشاشة ولطف .

عمان — عيسى الناعوري

تكريم صيدح بدمشق

دمشق — حفلة التكريم التي اقامها النادي العربي تكريماً لشاعر المهجر الكبير الاستاذ جورج صيدح من انجح حفلات هذا العام الادبية فقد جمعت العدد الاكبر من شعراء دمشق وادبائها وشبابها المثقف .

وقد افتتح الحفلة الاستاذ فؤاد الشائب مدير الدعاية والانباء بالحديث عن المحتفى به واثره الكبير في المهجر ، وعقبه الاستاذ امجد الطرابلسي بقصيدة . ثم القى الاستاذ محمود الجبان بالنيابة عن شاعر البحرين الاستاذ ابراهيم العريض قصيدته .

وعلى الاثر القى الاستاذ نزار القباني ثلاث مقطوعات من شعره ، رحب فيها بالشاعر الكبير ، وصور جهاده وجهوده في مغتربه ، وما اداه لوطنه وقوميته وللمهاجرين من خدمات .

ثم القى شاعر فلسطين « ابو سلمى » قصيدة عن «فلسطين» صور فيها الفاجعة وجهود المهاجرين لاتقائها والقى الاستاذ ابراهيم رشدان باسم شعراء الاردن قصيدة .

وبعد ذلك القى الاستاذ انور العطار قصيدة* عن «فلسطين» ختمها بابيات اشار فيها الى ادب المحتفى به وجهوده القومية .

* وصلتنا متأخرة قصيدة الاستاذ انور العطار التي خص بها «الأديب» وسننشرها في العدد القادم .

وتبعه الاستاذ سليم الزركلي بقصيدة عن القومية العربية والجهاد العربي. وفي هذه الاثناء حضر الاستاذ عبد اللطيف اليونس الحفل، بعد ان انفضت جلسة مجلس النواب، وقال: لقد هربت من الميدان السياسي لاتصل بهذا الحفل الادبي العظيم، واعيش فيه ساعات مريحة حلوة.

واخذ يتحدث عن المحتفى به، وعن اعماله المجيدة في المهجر، واخلاصه لقوميته، حتى انه يمكن ان يقال ان في المهجر جالية عربية. وفي المهجر ايضاً جورج صيدح. وافاض الاستاذ اليونس في الحديث عن وجوب دعم الجالية العربية في المهاجر وقال ان الجالية اذا اهملت فستنسى لغتها بعد ربع قرن وتنسى كل صلة لها بوطنها.

وقال ان في المهجر ايضاً اديباً يجب ان لا ننسى اثره الكبير وهو الاستاذ نظير زيتون الذي بذل الكثير من اجل العروبة، وخدم المكتبة العربية بمؤلفاته.

ثم وقف الاستاذ جورج صيدح وقال: انني اخشى ان انا القيت قصيدتي ان افتضح ويظهر عجزي، بعد ما سمعتم من شعر وقصائد، كما يفتضح الحمام الزاجل حين يوجد بين البلابل ثم القى قصيدته الرائعة التالية:

يا مهد الصبا، اين الصدى؟

ام النسور، تفرسي وتأملي … اعرفت وجه القادم المتهلل؟
هـذا فتـاك الى متى نكرانه … او ليس في اهات الاجدل؟
ما عابه الجسم المهيض تبدلت … قسـماته والقـلب لم يتبـدل
هو من بزاة العرب جشمه السرى … واحاله صرف الزمان الحول
شرع القوادم للجهـاد اسنة … عشراً، فان يجهل عليه يجهل
ولوى الجناح على الخوافي عله … يخـفي ضآلة ريشه المتهـدل
الله يا مهد الصبا، اين الصدى … يحكي متى اعيت لهاة البلبل؟
غيري ذكرت وقوفه وبكاءه … يا ليتني بين الدخول فحومل!
اغشى الحدائق استميل غصونها … فتميل عني كالرعيل المجفل
واخالس الازهار بعض طيوبها … فتصـدني وتبثهـا في الشمأل
ذهلت عن الصب الذي رضع الهوى … من ثديها، والصب لما يذهل
اعرضت عنها ثم جئت فاعرضت … حاشاك يا وطني ترد السهم لي!
وانا الذي قربت روحي للحمى … وسجدت في محرابه والهيكل
بدم الشباب خضبت ورد رياضه … ورجعت اغسلها بدمعي المسبل
ما زلت استجديه حتى رق لي … بردي ومد ذراعه في الجدول
غنى وتمى شـاديا ومرحبـاً … ايكون من خطباء هذا المحفل؟

***

لولاك يا نادي العروبة لم اقم … من عثرة الآمال جد مؤمل
حييت فيك احبتي فاجازني … نثر المقفع بعد شعر الاخطل
فكانني ابصرت وجـه امية … وسمعت معبد منشداً والموصلي
لامست في الادب المخدر يقظة … فتحت نواظره على المستقبل
بشري لعشاق البيان ازفها … نفض التراب عن التراث المهمل
وتحفزت لغة الكتاب لوثبة … هدفت الى النهج الجديد الافضل
قد يصلح «العطار» من شعرائكم … ما افسدته سياسة المستعـمل
ويقوم من علمائكم من يلتقي … وهو الاخـير زمانه بالاول
اني دخلت على عكاظ تطفلا … لولا قيـام العـذر لم اتطفـل
شق التغرب في الفصاحة شقة … بيني وبين النـاطقين المثـل
فاذا اردت الشعر يجمع بيننا … ارسلته عيـا فلم استرسـل

***

امضي وقلبي في دمشق رهينة … اودعتها قلب الثرى والجندل
لغفرت للام الجراح لو انها … شفعت باختي من قضاء منزل*
في جيرة الشهداء حلت منزلا … واظنهـا اخـذت تهيء منزلي

«القبس» السورية

جورج صيدح

موسيقانا وأغانينا

عمر

ما نستمع الى حفلة موسيقية اوربية يغمرنا احساس الوجدان والتعقل وليس احساس العاطفة والشهوة.

فنحن نقعد صامتين متأملين كاننا ندرس موضوعا فلسفياً او نتعقل مشكلة نحاول تعمقها. ولا نبالي ان تكون معنا نساؤنا من اخوات او امهات او زوجات. لاننا لن نخشى عزفة نابية او صوتاً فاضحاً..

وليس عجيباً ان يحصل المؤلفون الموسيقيون في اوربا على تربية جامعية وعلى لقب «دكتور في الموسيقى» بل ليس عجيبا ان يكون هؤلاء «الدكاترة» في الموسيقى دكاترة ايضاً في الفلسفة او الآداب مثل «البيرت شفيتزر» وغيره. لهم مؤلفات تستنير بها اوربا وتسترشد بها

ذلك ان الموسيقى قد ارتقت في اوروبا الى الوجدان والتعقل وارتفعت بذلك عن العاطفة والشهوة اللتين لا تزالان تغمران الموسيقى والغناء في بلادنا..

وليس من السهل ان نمتحن الموسيقى والغناء. بحيث نقول هذا حسن. وهذا سيء. ولكن يمكن ان نمتحن النتيجة بان نسأل ما هو احساسنا عقب الدور الموسيقي؟

هل هو احساس الارتياح الفلسفي؟ هل هو احساس النشاط والاقدام؟ ام هل هو احساس الشهوة الجنسية؟ او هو احساس التخاذل والضعف؟

ولست اشير هنا بالطبع الى الموسيقى العامية الاوربية ولا الى الموسيقى النيوروزية الصاخبة الامريكية. ولكني اشير الى تلك العبقريات الخالدة التي تركها كبار المؤلفين الموسيقيين والتي لا يزال الجمهور الراقي يستمع اليها ويطلبها في عواصم اوربا بل في اصغر مدنها

* توفيت في دمشق اخت الشاعر عقب رجوعه بايام عديدة.

وقد سبق ان اوضحت الاسباب التي عملت على انحطاط اغانينا وموسيقانا . وخلاصة هذه الاسباب ان كلا منها قد نشأ ونما في حضانة الرقص الداعر الذي كان فاشياً في مصر قبل ثلاثين سنة . وهذا الرقص كما لا يزال يذكره جميع الذين شاهدوه كان يمثل الاتصال الجنسي ويبالغ في تألم المرأة وتوجعها بحركات وايماءات تثير شهوة الرجال . وكان هذا الرقص هو الاصل والغناء والموسيقى تابعين له يتغنيان حركاته . فاصبح كلاهما لذلك حافلا بالتوجع والشكاية

بل ان هناك من المغنين المعاصرين من استمعت لهم فوجدت انهم لانسياقهم في المجرى الذي فتحه لنا هذا الرقص يغنون في تألم وتوجع كأنهم نسوة يعملن لاثارة الشهوة الجنسية في الرجال ..!

واحيانا عندما اتأمل المستمعين المصريين لحفلة غنائية مصرية اجد فيهم احساساً وضيعاً بل شاذاً كذلك المنبج بالحشيش او الخمر حين يروقه لحن ويقول « ياولد » ثم هم جميعهم وقد اثير في انفسهم توجع وألم يعبرون عنه بآهات متوالية . هذا لا ينفي طبعاً ان بعض هذا الاحساس لا يعود الى البؤرة الجنسية وحدها وانما يعود الى احزان العيش ومتاعب الحياة . وهي كثيرة في هذا الشرق العربي يثيرها اللحن الشاكي كما تثير المرأة النادبة احزان المعزيات في المأتم وتبكيهن ..!

ولكن البؤرة الكبرى للتوجع والشكاية في اغانينا هي بؤرة التوجع الجنسي . ولذلك فنحن الرجال نحس جميعاً خجلا من هذه الاغاني ولا نحب ان نصحب امهاتنا او زوجاتنا او اخواتنا الى حفلة موسيقية مصرية .

اما « مواويل » الريف فقد نشأت في وسط آخر . ولذلك فما زلنا نجد فيها رجولة بل فحولة بحيث نحس انتعاشاً سليما عندما نستمع اليها يخالف ذلك الانتعاش الذي يشبه الارتخاء الذي نحس به عندما نستمع الى تلك الاغاني التي تحفل بما يسمى « المازوكية » اي التألم والتوجع ..!

وليست اغانينا وموسيقانا مما يجوز ان يهمل لانها جميعها تربي النفس المصرية . واللحن الذي يتجاوب في الفضاء عقب اذاعته يعين لكل مستمع موقفاً واتجاهاً في الحياة او في فترة منها . وليس من الخير ان نترك هذه الالحان تفشي في نفوسنا هذا التوجع النسوي او هذه العواطف الجنسية النسوية المازوكية . وهي بحالها الحاضرة ايحاء لا ينقطع يوحي الينا الضعف بل التخنث بل هي ضباب يحول بيننا وبين الرؤية النفسية الحسنة والاحساس النفسي السليم

وليس من شأني ان اضع برنامجاً للاصلاح . فان هذا فوق طاقتي . وحسبي النقد مع الايماء الى بعض الوسائل الاصلاحية :

● يجب ان نقيس الدور الموسيقي او الغنائي بالاحساس الذي يعقبه عند المستمع . هل هو احساس الشجاعة والشهامة والارتفاع ام هو احساس الحزن والتوجع والانحطاط ؟

● يجب الا ننسى تاريخ الغناء والموسيقى في مصر وان كلا منهما قد نشأ وهو يلازم الرقص النسوي .

● يجب ان ندرس الدور الموسيقي الاوربي وننقل لحنه الى الاغنية المصرية .

● يجب ان نتوخى تنبيه الوجدان والتعقل وليس العاطفة والشهوة في الدور الغنائي او الموسيقي .

● لقد الغينا الرقص المصري لدعارته فواجبنا الغاء اغانينا التي لا تزال تلازمه وتسير في مجراه .

● البعوث الى اوربا لدراسة الموسيقى ضرورة حتمية ملحة لاصلاح النفس المصرية .

هذه ايماءات وليست مقترحات للاصلاح ..

ويجب ان نذكر كما قلت ان النشاط البشري ايا كان نوعه يتخذ لونا نفسياً معيناً . فالطبيب والمحامي والكاتب والتاجر حين يؤدون اعمالهم يتخذون لونا نفسياً في هذا الاداء هو لون الشجاعة او الجبن والطرب او الكمد والتوتر او التراخي . والاغنية التي نسمعها تعين لنا هذا اللون . لان في نفوسنا اوتاراً تتجاوب مع الالحان التي نسمعها فاذا كنا نكره ان نؤدي اعمالنا بفتور وتوجع ، وضعف وتكسر ، ونعاس وترهل ، فاننا يجب ان نتجنب الاغاني التي تؤدي الى هذه الاحساسات واغانينا والحاننا جميعها في الوقت الحاضر تؤدي الى هذه الاحساسات .

اني استمع احيانا لاحد الادوار الموسيقية العالمية من المؤلفين الاوربيين فاحس في نهايته كأن الاكسجين قد زاد في الهواء . فانا اتنفس وانتعش وانبعث الى حركة او تفكير . كأن هذا الدور قد زاد حياتي حيوية ..

ويحدث العكس عندما استمع الى اغنية عربية لاني احس كأنها تنادي في نفسي عناصر الضعف والموت والرخاوة والانهيار والحزن حتى لاقول « آه » في ألم . اجل انه ألم لذيذ . ولكن يجب ان اكرهه . لان هذا الالم يوحي الى نفسي سائر النهار ايحاء الرخاوة والضعف

ان صلاح النفس المصرية يتوقف على اصلاح الالحان والاغاني

ولست اقول شيئاً جديداً عندما اقول هذا . فاننا نعرف ان شجاعة الجيش تثار بادوار موسيقية معينة . والارغن يستعمل في الكنائس الكاثوليكية لايجاد حال نفسية تساعد على الخشوع والابتهال .

ولذلك عندما نؤلف لحنا موسيقياً او اغنية شعبية يجب ان نسأل : ما هي الحال النفسية التي نريدها منها ؟

هل هي حال التخنث والاستخذاء ام حال الاقدام والاجتراء ؟

« صوت الامة » المصرية

سلامة موسى



٢٢ سبتمبر ١٩٥١ – طلب الدكتور مصدق من الحكومة البريطانية استئناف المفاوضات على أساس المقترحات الايرانية السابقة وقد رفضت الحكومة البريطانية ذلك

٢٤ – بدأ المندوبون الساميون الثلاثة في المانيا الغربية مفاوضات رسمية مع المستشار ايدناور للوصول الى اتفاقات سياسية ودفاعية ولوضع شبه معاهدة للصلح.

٢٥ – قدم المسيو فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية استقالته.

– انذر موظفو البترول الانجليز في عبادان بمغادرة ايران حتى ٤ نوفمبر ويبلغ عددهم ٣٥٠

٢٦ – انذرت الحكومة البريطانية الحكومة الايرانية بان طرد الفنيين البريطانيين سيكون له اسوأ الاثر في العلاقات بين البلدين

٢٧ – الف ملك بريطانية مجلس وصاية ينوب عنه خلال مرضه على اثر تفاقم حالته الصحية بعد اجراء العملية الجراحية

– تدخلت الولايات المتحدة وطلبت من ايران الغاء امرها بطرد الموظفين كما نصح الرئيس ترومان البريطانيين بالامتناع عن العنف في ايران

٢٨ – اعلن الجنرال بيرون رئيس جمهورية الارجنتين حالة الحرب الداخلية على اثر نشوب ثورة مسلحة قام بها بعض قادة الجيش.

٢٩ – قررت بريطانيا رفع النزاع على البترول الايراني الى مجلس الامن الدولي.

اول اكتوبر ١٩٥١ – اجتمع مجلس الامن للنظر في شكوى بريطانيا على ايران فتكلم المندوب السوفيتي معترضا على ادراج الشكوى وعدها تدخلا في شؤون ايران الداخلية

٣ – عادت الاعمال الحربية فاستؤنفت بشدة في الهند الصينية بين القوات الفرنسية والفيتنامية من جهة والقوات الشيوعية من جهة اخرى.

– اشتدت المعارك في الجبهة الكورية.

٤ – اعلن الرئيس ترومان ان انفجاراً ذرياً جديداً قد حصل في المدة الأخيرة داخل الاتحاد السوفياتي.

٥ – اصدر ملك انجلترا مرسوما بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة في ٢٥ نوفمبر.

٦ – افضى الماريشال ستالين ببيان خطير عن القنابل الذرية والحرب الذرية المحتملة. وقد اعلن فيه ان تجارب لتفجير القنابل الذرية قد اجريت في الاتحاد السوفياتي حقا وان غيرها ستجري في المستقبل لعدة صنوف من القنابل الذرية. وان الاتحاد السوفياتي يؤيد منع السلاح الذري واقامة رقابة دولية حتى يجري التقيد بدقة ووجدان.

٨ – الغت مصر معاهدة ١٩٣٦ المعقودة بينها وبين بريطانيا كما فسخت الشراكة المعقودة بينهما على السودان. واودع رئيس الحكومة مصطفى النحاس باشا المجلس مراسيم بتحقيق وحدة وادي النيل تحت تاج فاروق. ويتمتع السودان باستقلال ذاتي وتحتفظ مصر بشؤون الجيش والدفاع والسياسة الخارجية

– نقل مكان مفاوضات الهدنة في كوريا من كايسونغ الى موبجوم وستستأنف مفاوضات وقف القتال

٩ – اذاعت الحكومة البريطانية بلاغا اعلنت فيه انها لا تعترف بشرعية الغاء المعاهدة المصرية – البريطانية من جانب مصر وحدها، وهو تنوي الاحتفاظ بكامل حقوقها التي تخولها اياها المعاهدة.

١٠ – استنكر وزير خارجية امريكا الغاء المعاهدة المصرية

– قرر مجلس الوزراء الفرنسي تاييد انجلترا الى ابعد الحدود في موقفها من مصر

١١ – اعلنت الحكومة العراقية ان رئيسها السيد نوري السعيد قد طلب من انجلترا اعادة النظر في المعاهدة العراقية الانجليزية

١٢ – صرح السيد يوشيدا رئيس الوزارة اليابانية ان على اليابان ان تنحاز الى احد المعسكرين في العالم وان عليها ان تعتمد على امريكا في الدفاع عن اراضيها.

١٣ – صدرت الاوامر الى الوحدة البريطانية المرابطة في تريستا بالتوجه الى السودان والى كتيبة المظليين المرابطة في قبرص بالسفر الى السويس

– عرضت امريكا وانجلترا وفرنسا وتركيا على مصر الانضمام الى حلف الدفاع عن الشرق الاوسط فرفضت ذلك.

١٥ – اقر البرلمان المصري التشريعات الخاصة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩

١٦ – بينما كان لياقات علي خان رئيس حكومة الباكستان يلقي خطابا في اجتماع عام براوال بندي اطلق عليه شاب يدعي سيد اخبار الرصاص فقتله. وقد قتلت الجماهير القاتل.

– بدأت الاصطدامات بين المصريين والقوات البريطانية في القطر المصري فوقع عدة قتلى وجرحى من الجانبين.

١٧ – تقلد خوجه نجم الدين الحاكم العام للباكستان رئاسة الوزارة وتسلم معها وزارة الدفاع

– بدأت جلسة مجلس الامن لدراسة قضية البترول الايراني

– اعلنت حالة الطوارىء بالقطر المصري

١٨ – دعا وزير الخارجية المصرية اللجنة السياسية للجامعة العربية الى الاجتماع فورا لبحث الازمة المصرية البريطانية

١٩ – قرر مجلس الامن تأجيل مناقشة النزاع الانجلو ايراني وعرض قضية حق المجلس في بحث النزاع في محكمة العدل الدولية

٢٠ – بعد حوادث احتلال القوات البريطانية المدن والمراكز الحساسة في منطقة قنال السويس ونقل امدادات عسكرية اليها ارسلت مصر مذكرة احتجاج واخطار الى بريطانيا كما ان هذه ارسلت الى الحكومة المصرية مذكرة تعتبرها فيها مسؤولة عن الاضرار التي لحقت بالبريطانيين.

٢٢ – دخلت بعض قوات الأمم المتحدة مدينة كومسونغ في الجبهة الكورية ثم اخلتها وتدور معارك عنيفة حول المدينة

دار الطباعة والنشر اللبنانية – بيروت
تليفون 98 - 35